

الدور الإبراني في العصر الأموي

تأليف

الدكتور محمد عبد السيد الرفاعي

كلية دارالعلوم - جامعة القاهرة

الدور الإيراني في العصر الأموي

تأليف

الدكتور محمد جبريل محمد الرفاعي

كلية دارالعلوم - جامعة القاهرة

موضوعات البحث

الصفحة	الموضوع
٥	* موضوعات البحث
٩	* تقديم
١٥	* لمحة جغرافية :
١٥	- تسمية إيران .
١٧	- حدود إيران وطبيعتها .
٢٠	- أقاليم إيران وأقسامها .
	* الفصل الأول :
٢٥	الهجرة العربية إلى إيران :
٢٧	- طريق الهجرة .
٣٤	- سمات الهجرة .
٤١	- انقسام العرب في إيران .
٥٤	- موقف الخلافة من هذه العصبية .
	* الفصل الثانى :
٦١	الموالى الإيرانيون :
٦٣	- العلاقة بين العرب والموالى .
٦٨	- التمازج الاجتماعى بين العرب والموالى .
٧٦	- الدولة الأموية والموالى .

الصفحة

* الفصل الثالث :

- ٨٧ مشاركة الإيرانيين في الإدارة الأموية :
- ٨٩ - في الولاية والحكم .
- ٩٢ - في الدواوين والحماية .
- ٩٧ - حركة التعريب في إيران .
- ١٠١ - في السفارة والتفاوض .

* الفصل الرابع :

- ١٠٥ مشاركة الإيرانيين في النشاط العسكري والفتوحات :
- ١٠٧ - الإيرانيون في الجيش الأموي الخراساني .
- ١١٣ - في تدبير الحرب والتخطيط العسكري .
- ١١٦ - في الدفاع عن النفوذ الأموي .

* الفصل الخامس :

- ١٢٥ دور الإيرانيين في ثورات الشيعة :
- ١٢٧ - إنصراف الإيرانيين عن التبار الخارجي .
- ١٣١ - ارتباط الإيرانيين بالاتجاه الشعبي .
- ١٣٨ - الإيرانيون وثورة المختار الثقفي .
- ١٣٨ * موقف المؤرخين من المختار .
- ١٤٦ * مكاسب الإيرانيين من ثورة المختار .
- ١٥٤ - دور الموالى الإيرانيين في الدعوة العباسية :
- ١٥٤ * في مرحلة الدعوة السريية .
- ١٦٠ * في مرحلة العمل المسلح .

تقديم

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد الأنام وخاتم المرسلين .
وبعد . . .

فقد تركزت دراسات الباحثين في تاريخ الإسلام ، وبخاصة في عصوره الأولى على العنصر العربي ، ولم تحظ الشعوب الأخرى التي دخلت في إطار الإسلام وحضارته ، من فرس وترك وبربر وهنود وغيرهم ، بنفس القدر من الاهتمام ، ويرجع ذلك إلى تصدر العنصر العربي وتقدمه في تلك الحقبة ، وإلى تركيز المصادر التاريخية القديمة عليه ، فقد كتب معظمها في حاضرة الخلافة العباسية بـغداد ، فكان من الطبيعي أن يكون محور اهتمامها هو أخبار الخلفاء والعرب ، ويقل اهتمامها بالأصـار ومناطق الأطراف .

ومع تقدم الشعوب الإسلامية غير العربية ، وبرز دورها القيادي ظهرت دراسات تاريخية متخصصة في دراستها ، مثل " تجارب الأمم وتعاقب الهمم " لمسكوية ، الذي سجل أخبار أمراء بني بويه ، وهم من العنصر الديلمي الإيراني ، وظهر كتابان في تاريخ السلاطين الغزنويين الذين ينتمون إلى العنصر التركي ، هما " تاريخ اليميني " الذي كتبه أبو نصر العتبي (ت ٤٣١) كاتب السلطان محمود الغزنوي و" تاريخ البهيقى " لأبى الفصل البيهقي كاتب السلطان مسعود بن محمود الغزنوي ، وقد ترجمه عن الفارسية الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت ، وبعد ذلك ظهرت موسوعة ابن خلدون " العبر " التي

تناولت تاريخ العجم والبربر إلى جانب تاريخ العرب.

وإذا كانت المادة التاريخية تسعفنا إلى حد كبير في دراسة الفترات التي برزت فيها هذه الشعوب غير العربية ، فإنها فيما يختص بالعصر الأموي الذي نتناوله بهذه الدراسة ، شحيحة ضئيلة وتحتاج من الباحث إلى مضاعفة الجهد في تتبع المصادر التاريخية بعين واعية لا لتقاط ما يرد فيها من لمحات أو إشارات ، قد تكون عابرة موجزة ، ولكنها ذات أهمية بالغة ، كما أنه من الواجب مراجعة المصادر الأخرى الجغرافية والأدبية ، وكتب الفـرق والموسوعات ، لعلنا نظفر منها بما يثرى المادة التاريخية ويغذيها .

وقد اتجهتُ منذ البداية في مجال دراستي إلى تاريخ هذه الشعوب الإسلامية غير العربية ، فتناولت تاريخ الغزنويين الأتراك الذين حكموا أفغانستان وإيران وجزءاً من الهند ، في رسالة الماجستير كما تناولت الحركات الاستقلالية في إيران في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، في رسالة الدكتوراه ، وسجلت ما أعطيته للطلاب من " محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس " في كتاب ركزت فيه على تاريخ البربر ، وأتبعته ببحث في مجلة ندوة التاريخ الإسلامي التي تصدرها كلية دار العلوم عن " التيارات الشرقية التي أثرت في تاريخ المغرب حتى قيام دولة المرابطين " .

وتعتبر هذه الدراسة خطوة أخرى في نفس المسار ، وكان موضوعها يراودني منذ سنوات ، واعترف أنني أمضيت وقتاً طويلاً في التماس المدخل الذي أدلف منه إليه ، وتصور الشكل الذي يمكن

أن يكون عليه ، واعتقد أنه أصعب الخطوات وأهمها لأنه يتناول تاريخ العنصر الإيراني في العصر الأموي ، وهو موضوع لا تسخو فيه المصادر بالمادة العلمية ، ويلتقى فيه الباحث بآراء ونظريات تحتاج إلى المناقشة وإعادة النظر .

وأهمية هذه المرحلة أن العصر الأموي شهد بداية انطلاق هذه الشعوب الجديدة ، التي لم يظهر لها دور واضح في عهد الخلفاء الراشدين ، لأنها كانت فترة فتح وجهاد ، وتعرّف من هذه الشعوب على الدين الجديد وحضارته ، وكان العنصر العربي وحده صاحب الدور الرئيسي في مسرح الأحداث ، ثم أخذت أوضاع هذه الشعوب تستقر ، وبدأت تشارك وتتفاعل ، وتتطلع إلى مركز مرموق في الصفوف القيادية ، ولذا حفل العصر الأموي بكثير من الحركات والثورات التي كان للموالي دور بارز فيها سواء في المشرق أو في المغرب .

وفي هذا العصر حدث التمازج بين العنصر العربي والعناصر الأخرى ، وكانت إيران بوتقة الانصهار بين العرب والعناصر الفارسية ونقطة التقاء بين العرب وأجناس أخرى في شغور ما وراء النهر والسند ونتج عن ذلك آثار هامة جدية بالدراسة والبحث .

وكان العصر الأموي عصر الفتوحات العظيمة ، وكانت إيران إحدى القواعد الهامة التي انطلقت منها الجيوش الفاتحة نحو الشغور المجاورة ، والمناطق الإيرانية التي لم يكن قد استكمل فتحها ولا يمكن أن نتصور أن الإيرانيين وقفوا موقف المتفرج ، ولم يكن لهم

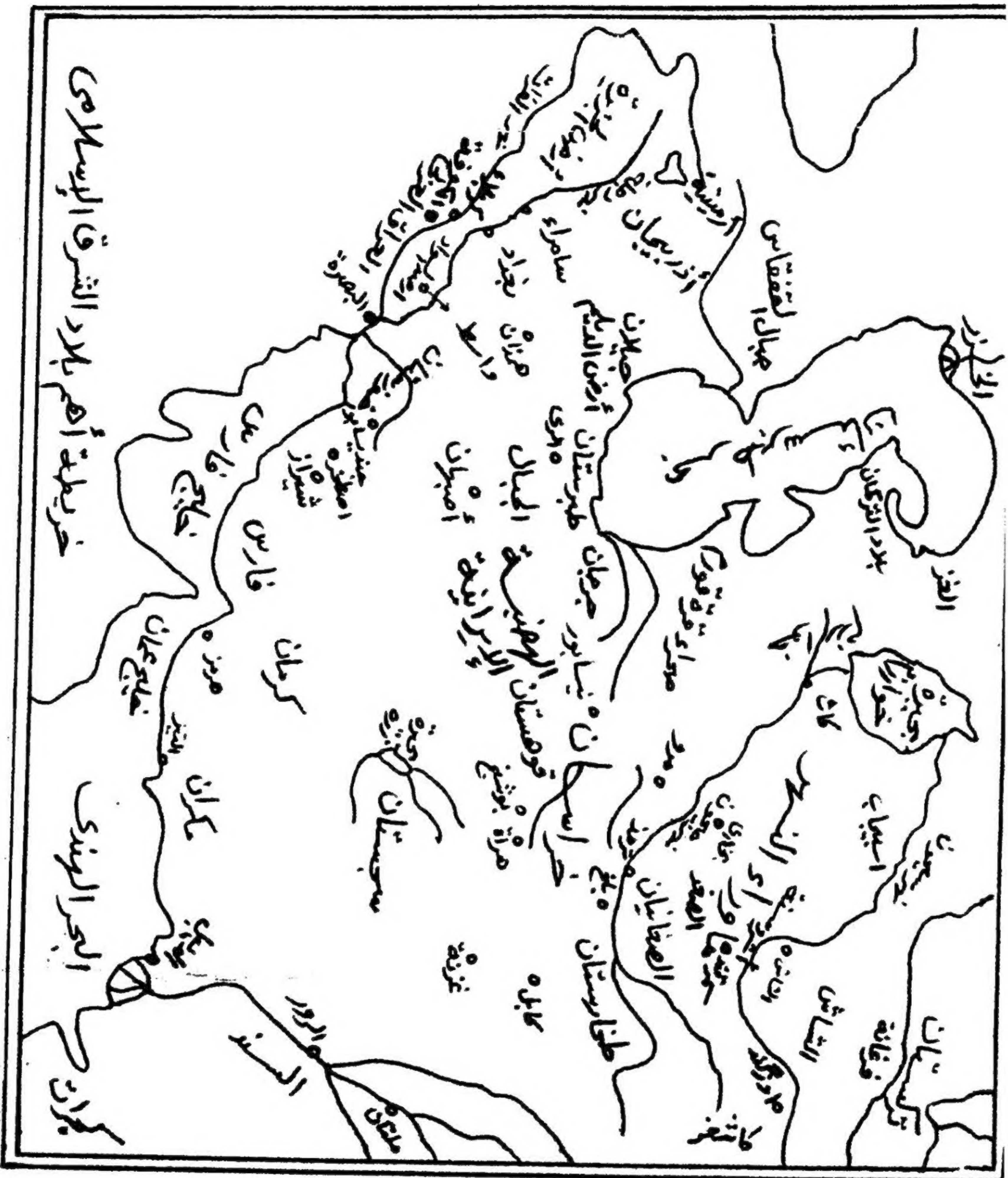
نصيب أو مشاركة في هذه الفتوحات، ويحتاج دورهم إلى مزيد من التوضيح والجلالة .

وشهدت إيران خلال هذا العصر دعوات عديدة ، وثورات كثيرة ، من القادة الطامحين ، والأحزاب السياسية المناهضة ، والفرق الدينية المعارضة ، وفي مقدمتهم الخوارج والشيعة وأصحاب الدعوة العباسية ، والذين رفعوا راية الإصلاح مطالبين بتصحيح أوضاع الموالى ، وتطبيق المبادئ الإسلامية ، ولم يكن الإيرانيون بالقطع بمعزل عن هذه الحركات التي تدور على أرضهم ، وتمور بين أظهرهم .

وكان للدولة الأموية أسلوب إداري وسياسي ، وعمال وولاة يقومون على تنفيذه ، فما هو هذا الأسلوب ، وما تأثيره على أهل البلاد وهل شارك الإيرانيون فيه ، أم التزموا جانب المعارضة له .

كل هذه الأمور نرى أنها جديرة بالبحث ولا شك أنها كانت بواعث قوية وراء هذه الدراسة التي حاولنا فيها أن نكون موضوعيين غير متحيزين ، بعيدين عن السير في ركاب الغير ، دون تبصّر أو تدبر ، ونأمل أن يكون فيها من الجديد المفيد ، والنافع الشافع ، ما يلقي الرضى والقبول ، فان كان ذلك فهو ما نرجو ، وان كان غير ذلك فحسبنا أننا سلكنا وعر الشعاب ، وخضنا البحر العباب ، والله من وراء القصد ، وله وحده المنة والفضل .

" محمد الرفاعي "



خريطة أهم بلاد الشرق الإسلامي

لمحه جغرافية

تسمية "إيران":

فضلنا في عنوان هذا البحث وفي ثناياه أن نستخدم كلمة "إيران" برغم أنها لم تكن شائعة في كتابات المؤرخين المسلمين الأوليين الذين استخدموا بدلاً منها كلمتي "بلاد فارس" و "خراسان"، واعتمدنا في هذا التفضيل على عدة اعتبارات أولها أن هذه التسمية هي الأقدم تاريخياً، إذ يرجع ظهورها إلى ما قبل ميلاد المسيح بعدة قرون، في هذا الوقت الذي نزحت فيه العناصر الآرية من موطنها القديم جنوب بحر "أرال" واستقرت بصفه نهائيه في الهضبة المرتفعة الواقعة جنوب بحر قزوين، والتي نسبت اليهم فيما بعد وعرفت بالهضبة الإيرانية، وسمى هذا الوطن الجديد باسمهم فاطلق عليه "إيران شهر" أي موطن الآريين، لأن كلمة "شهر" في اللغة الفارسية تعني "بلد" أو "وطن" (١)، وقد تستخدم هذه التسمية مشطورة فيقال "إيران" (٢)

وهذه التسمية - بالإضافة إلى ذلك - هي الأوسع مدلولاً إذ يقول ياقوت (٣): "إيران شهر هي بلاد العراق وفارس والجزبال وخراسان

(١) دونالدولبر : إيران : ماضيها وحاضرها - ترجمة الدكتور عبد النعيم حسنين وإبراهيم أمين الشواربي - القاهرة ١٩٥٨ -

ص ١

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان - دار صادر في بيروت سنة

١٩٨٤ - ج ١ ص ٢٨٩

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة.

يجمعها كلها هذا الاسم ولكننا نستبعد من تعريف "العراق" لأن هذا التعريف اعتمد على ما كانت عليه الأوضاع السياسية في العهد الساساني ، عندما كانت العراق جزءاً من دولة الفرس وكانت عاصمتهم المدائن فيها ، لكن العراق أصبح منطقته بذاتها في العهد السلاني ، كما ان طبيعته الجغرافية والسكانية وأوضاعه السياسية تجعله إقليمًا متميزًا عن المنطق الإيراني .

وتسمية "إيران" هي الأكثر دقة ومطابقة للمدلول بالنسبة للتسميتين الأخريين " فارس " و " خراسان " اللتين استعملهما المسلمون مرادفتين لها ، إذ يقول ياقوت (١) : " وكانت أرض فارس قديمًا قبل الإسلام ما بين نهر بلخ إلى منقطع أذربيجان وأرمينية الفارسية ، إلى الفرات إلى بركة العرب ، إلى عمان ومكران ، وإلى كابل وطخارستان " ، ويقول المقدسي (٢) : " خراسان وفارس كانتا عند العرب شيئاً واحداً " .

ولكن استعمال هاتين الكلمتين للدلالة على إيران فيه كثير من التجوز والتساهل في التعبير ، وهو من باب إطلاق الجزء على الكل ، لأنهما في الأصل اسمان لإقليمين من الأقاليم الإيرانية ثم أطلقا على إيران كلها ، ويسوغ ذلك ان خراسان تعد اعظم

(١) معجم البلدان ٢٢٧٢ / ٤

(٢) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - طبعة ليدن ١٩٠٩ م ص ٣٥٣

الأقاليم الإيرانية وأوسعها ، وأن " فارس " كانت مركزا لدولة الفرس
الأكمينية التي أسسها كورش سنة ١١٨١ ق م (١) واتخذ ملوكها
عاصمتهم في هذا الإقليم ، وشيدوا فيه قصورهم ، ثم غلب اسم
الإقليم على إمبراطوريتهم ، وأطلق على دولتهم كلها ، وانتشر بين
الأمم الأخرى بهذا المدلول ، فأصبح عند اليونان " برسبوليس " منذ
عهد الإسكندر الأكبر ، وعُرب إلى لغة العرب فأصبح " فارس " .

ولكن هذا الاسم توارى في عهد الدولة الساسانية التي قامت
سنة ٣٦٩ م ، وبرزت التسمية القديمة " إيران " من جديد وأصبحت
الاسم الرسمي للدولة طوال عهدها حتى الفتح الإسلامي ، أما
لغة البلاد التي هي في الأصل لغة إقليم " بارسا " القديم الواقع
في الجنوب الشرقي من إيران ، فقد بقيت إلى اليوم تحمل اسم هذا
الإقليم ، وتُعرف باللغة الفارسية أو " فارسي " .

وبالإضافة إلى كل الاعتبارات السابقة فإن التسمية التي
ارتضاها أهل هذه البلاد في العصر الحاضر ، وطالبت حكومتها
منذ عام ١٩٣٥ م الدول الأخرى أن تستعمل هذا الاسم مراعاة
للتنسيق والتوحيد (٢) .

حدود إيران وطبيعتها :

تعتبر إيران وحدة جغرافية متميزة من الناحيتين الطبيعية
والبشرية ، فهي تشمل رقعة متجانسة من الأرض تتوسطها الهضبة
الإيرانية ، ولها حدود واضحة كانت تمتد من العراق غربا إلى

(١) انظر محمود شاكر : إيران (من سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية)

(٢) دونالد ولبر ص ١

السند شرقاً ، ومن نهر جيحون وبحر قزوين شمالاً إلى الخليج العربي وبحر الهند جنوباً ، والعناصر البشرية التي تسكنها يرجع أغلبها إلى أصل واحد هو الجنس الآري الذي يضم البارثيين والميديين والبكتريين ، ويتكلمون بلغة واحدة هي اللغة الفارسية .

وقد اختلفت وجهات النظر حول الإقليم الواقع على ضفتي نهر جيحون مباشرة ويمتد شماليه قليلاً ، الذي يعرف بإقليم " ما وراء النهر " وهل يعد من المناطق الإيرانية أم خارجاً عنها ، ويرجع هذا الاختلاف إلى ارتباطه الوثيق بإيران ، وانتماء سكانه إلى العناصر الآرية جنساً ولغة ، كما أنه يعد ملتقى الحضارتين الإيرانية والطورانية ، والعنصرين الفارسي والتركي ، ولذلك اتجه بعض الباحثين إلى اعتباره جزءاً من إيران (١)

ويقترِب المقدسي (٢) من هذا الاتجاه إلا أنه استخدم تعبيراً آخر هو " إقليم المشرق " ، وجعله ذا جانبين : جانب هيطل (٣) وهو " ما وراء النهر " وجانب خراسان الذي يضم " سجستان " أيضاً .

ولكننا نميل إلى اعتبار ما وراء النهر إقليماً مستقلاً عن إيران ، ويعضد هذا الرأي قول ياقوت (٤) : " فأما ما وراء النهر ، فهي

(١) انظر الاستاذ الدكتور : حسن محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي - دار الفكر العربي سنة ١٩٦٦ م - ص ٧٩ .

(٢) احسن التقاسيم ص ٢٦ .

(٣) نسبة الى هيطل بن عالم بن سالم بن نوح الذي يقال انه نزل هذه المنطقة .

(٤) معجم البلدان ٣٥١ / ٢

بلاد الهياطلة، ولاية برأسها" ، كما أنه من الناحية الجغرافية منفصل عن خراسان بنهر جيحون ، كما أنه أكثر ارتباطا بتركستان لاستيطان قبائل الترك شماله وشرقه ، وأصبح ارتباطه بها أمراً مؤكداً منذ عام ٣٨٩ هـ عندما سيطرت عليه العناصر التركية ، وتمكنت الأسرة القراخانية من توجيه الضربة النهائية لحكامه السامانيين .

وقلب إيران هو الهضبة الإيرانية المرتفعة ، التي يبلغ متوسط ارتفاعها ما بين ثلاثة آلاف قدم إلى خمسة آلاف قدم (١٠٠٠ - ١٦٠٠ متر) وتحيط بها من جميع جهاتها عدا جهتها الشرقية حوائط جبلية معقدة ، وتتداخل من جهتها الشرقية مع هضبة أخرى هي هضبة أفغانستان ، وتقطع سطحها سلاسل من التلال ، إلا من الناحية الشرقية التي تمتد فيها السهول الصحراوية ، وهذه الجبال والتلال ذات أهمية عظيمة لإيران ، لأن الثلوج الهائلة التي تتوج قممها لا تلبث أن تذوب في مواسم الدفء ، وتمد الأنهار والوديان الصغيرة بالماء ، وتجعلها مناطق صالحة للاستقرار وال عمران .

أما مناطق السهول فإنها في الساحل الجنوبي ضيقة جداً لأن جباله تطل على البحر مباشرة ، ولا تترك إلا شريطاً ساحلياً ضيقاً يغلب عليه الجفاف والقفر ، أما في الشمال على سواحل بحر قزوين فيوجد شريط ساحلي آخر يمتاز بالخصب ووفرة الأمطار ، وفي الجنوب الغربي من إيران يوجد إقليم منخفض هو " خوزستان " المجاور للجزيرة الفراتية (١) .

(١) الشرقاوى والصيداد : هذا العالم : دار المعارف بمصر سنة ١٩٥١

والصحارى فى إيران واسعة ممتدة من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، وأكبرها " دشت لوت " أى الصحراء الخالية " و " دشت كوير " أى الصحراء المالحة ، وتتداخل هذه المساحات الصحراوية بعضها فى البعض الآخر (١) .

وتوجد فى إيران عدة أنهار يصب بعضها فى بحر قزوين وتكثر مياهها فى الربيع ، ويصب بعضها الآخر فى الخليج العربى مثل نهر قارون ، وهو أكبر أنهارها (٢) .

أقاليم إيران وأقسامها :

كانت إيران القديمة تضم مناطق أكبر وأوسع من إيران الحالية إذ كانت تشمل جزءاً كبيراً من أفغانستان ، وبلاد التركمان الروسى وبذلك كانت تشمل أقاليم : خراسان وسجستان وبلاد الديلم والجبال ، وخوزستان ، وفارس ، وكرمان ، ومكران .

وخراسان أكبر هذه الأقاليم وأعظمها ، واسمها مكون من كلمتين فارسيتين هما : " خر " و " سان " ومعناها : بلاد الشمس المشرقة (٣) وتحدها من الشرق سجستان وبلد الهند ، ومن الغرب مغازة الغزنية ونواحي جرجان ، ومن الشمال بلاد ما وراء النهر وجزء من بلاد الترك ومن الجنوب مغازة فارس وقومس إلى نواحي جبال الديلم (٤) ، وهى

(١) ولير ص ١٦ (٢) ولير ص ١٤

(٣) دائرة المعارف الاسلاميه - مادة خراسان مجلد ٨ ص ٢٨٢

(٤) ابن حوقل : صورة الارض - الطبعة الثانية - ليدن ١٩٦٧ م - ص

بذلك تزيد على ضعف المساحة التي تعرف اليوم باسم "خراسان" اذ يدخل الشطر الأكبر منها في التركمان الروسيه وأفغانستان (١)

وكور خراسان هي : " بَلْخ " و " هَرَاة " و " جُوزجانان " و " مَرُو " الشاهجان " و " نيسابور " و " قوهستان " . وقد أضاف إليها المقدسي " سَجِسْتَان " و " غَزْنِين " و " بُسْت " ، ولكننا نعتبر هذه الأقاليم الثلاثة التي أضافها إقليمًا واحدًا مستقلاً عن خراسان هو " سجستان " ، وإلى ذلك ذهب ابن حوقل (٢) والإصطخرى (٣) لأنها كانت كذلك في معظم عهودها سياسيا وإداريا ، وأعظم مدن خراسان على الترتيب : نيسابور ، ومَرُو ، وبَلْخ ، وهَرَاة ، وكانت حواضر خراسان في عهود مختلفة .

أما سجستان فتقع أقصى شرقي إيران ، وتسمى أيضا "نيمروز" وهي كلمة فارسيه معناها : نصف يوم ، لأنه قيل إنها بخيراتهما وثرواتها تساوي نصف ما تطلع عليه الشمس ، وذلك على سبيل المبالغة لا الحقيقة (٤) ، وتحدها الصحراء من الشرق والجنوب ، وبلاد الهند (التي كانت قديما تشمل كابل) من الشمال ، وخراسان من الغرب (٥)

(١) دائرة المعارف الإسلاميه مجلد ٨ ص ٢٨٢

(٢) صورة الأرض ص ٤١١

(٣) المسالك والممالك - تحقيق الدكتور الحيني - القاهرة ١٩٦١ م - ص

١٤٥ .

(٤) ياقوت ٣٣٩ / ٥

(٥) الإصطخرى ١٣٩

وإقليم " فارس " يقع على الشاطئ الشمالي للخليج الفارسي ويتكون من ست كور هي من الغرب: " أَرَجَان " و " أَرْدَشِيرُ خَرَّه " دارابجرد " و " شيراز " و " سابور " و " إصطخر " ، وتغلب عليه الطبيعة الجبلية (١) .

والى الشرق من فارس توجد " كرمان " ، التى تعد امتدادا طبيعيا له ، وحدودها من الشرق مكران ، ومن الشمال الشرقى سجستان ، ومن الشمال خراسان ، ومن الغرب فارس منتن الجندوب بحر فارس (٢) ، وهى تجمع بين صفات الاقاليم المحيطة بها ، — من الناحيتين الطبيعيتين ، والبشرية ، ولكنها أقل مساحة وعمرا من فارس وبها نهر كبير اسمه " جِيرَفْت " (٣)

وشرقها توجد مكران ، ويحدها شرقا الهند ، وغربا كرمان وجنوبا بحر الهند ، وشمالا سجستان ، وهى ناحية واسعة عريضة تغلب عليها المفاوز ويسودها القحط (٤)

وتوجد بلاد الديلم شمالى إيران ، وسميت بذلك نسبة إلى العنصر البشرى الذى يسكنها ، وهم الديلم سكان المناطق الجبلية والى جوارهم الجبل سكان المناطق السهلية ، وهما فى الأصل فرعان لعنصر واحد ، " وأكثر الناس لا يكادون يفرقون بينهما " ، وهم

(١) المقدس ٤٧١

(٢) ياقوت ١٨٠ / ٥

(٣) احسن التقاسيم ٣٥٥

(٤) المقدس ٣٥٣

أكثر العناصر الإيرانية تخلفاً في مجال الحضارة إذ يقول عنهم
المقدس^(١) : " لا ترى لهم لباقة ولا علم ولا ديانة " . وهذا الإقليم
يقع حول بحر قزوين ويضم خمس كور ، أربعة منها تطل على البحر وهي
جرجان وطبرستان والدَّيْلَمَان والخَزَر ، والخامسة تقع إلى الجنوب
 ويفصلها عن البحر كورة طَبْرِسْتان ، وهي " قُومِس " ^(٢)

وتتميز بلاد الديلم بالطبيعة الجبلية القاسية ، والأطمار
الغزيرة التي تسقط على سواحلها طوال العام ، وتتراكم الثلوج على
قمم الجبال العالية فتظل متوجهة بها حتى أواخر الصيف ، وربما اتصل
المطر في طبرستان سنة ، فلا يرى أهلها الشمس ^(٣)

ويقع إقليم خوزستان على الطرف الشمالي الشرقي للخليج بين
فارس والبصرة وجبال اللور المجاورة لأصبهان ، وهو أشبه بأرض العراق
وهوائها وصحتها ، وبخاصة المناطق القريبة من دجلة ، ويكثر
فيه النخيل ، " ولا توجد ناحية منه تخلو من أشجاره " ^(٤)

(١) أحسن التقاسيم ٣٥٥

(٢) المقدس ٣٥٣

(٣) ابن حوقل

(٤) ياقوت ٢ / ٤٠٤ ، ٤٠٥

الفصل الأول

الهجرة العربية إلى إيران

الفصل الأول الهجرة العربية إلى إيران

طريق الهجرة:

شهدت إيران مع الفتح الإسلامي وفي أعقابه حركة هجرة واسعة قامت بها القبائل العربية لاستيطان المناطق المفتوحة ، ولم تتم هذه الهجرة أو الهجرات العربية من جزيرة العرب إلى المناطق الإيرانية مباشرة ، وإنما امتدت إليها عبر العراق ، واتخذت منه محطةً وسطى ، إذ أنها استقرت فيه أولاً ، وارتبطت به ، وانطبعت بسماته وخصائصه ، ثم اندفعت روافد منها نحو خراسان وغيرها ممن الأقاليم الإيرانية ، حتى كان عرب خراسان يسمون بالعراقيين إلى جانب تسميتهم بالخراسانيين (١) ، وأدى ذلك إلى مزيد من الارتباط والتلاحم بين العراق وإيران حتى أصبحا يشكلان ميداناً واحداً ، ويعدان ولاية واحدة .

والارتباط بين العراق وإيران ارتباط قوى ومؤثر على مدى التاريخ ، وهو ارتباط طبيعي لتجاور الإقليمين بغير فواصل حادة تحصل دون الاتصال والتأثير المتبادل بينهما ، وهو ارتباط تاريخي متأصل منذ كان العراق جزءاً من الدولة الساسانية ، واتخذ فيهم ملوك الفرس حاضرتهم " المدائن " على نهر دجلة ، حتى عدة بعض المؤرخين (٢) المسلمين جزءاً من " إيران " وكانت القبائل العربية

١) انظر خطبة قتيبة بن مسلم في عرب خراسان - الطبري : تاريخ

الامم والملوك - دار الفكر بيروت - ص ٨ ص ١٠٥

٢) انظر ياقوت : معجم البلدان ٢٨٩ / ٠ ، ٢٢٧ / ٤

التي استقرت على أطراف العراق من ناحية شبه الجزيرة العربية ترتبط بدولة الفرس برباط وطيد .

وتواصل هذا الارتباط في عهد الفتوحات الإسلامية التي تمت في عهد الخلفاء الراشدين ، منذ اتخذت الكوفة والبصرة - في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه - قاعدتين لفتح المناطق الإيرانية واستمرتاً منطلقاً للجيوش الفاتحة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكانت الجيوش تنطلق من البصرة بقيادة واليها عبد الله بن عامر الأموي مجاهدة فاتحة حتى تهاوت المقاومة الإيرانية .

وزاد التلاحم بعد ارتباط إيران بالإسلام ، فرغم ما أبداه الإيرانيون من مقاومة باسلة ، إلا أنهم سرعان ما قبلوا على الإسلام ، واندمجوا فيه ، وأكد ذلك ياقوت^(١) في حديثه عن أهل خراسان فقال : " ثم أتى الإسلام فكانوا فيه أحسن الأمم رغبة ، وأشد هم إليه مسارعة ، منّا من الله عليهم ، وتفضلاً لهم ، فأسلموا طوعاً ، ودخلوا فيه سلماً ، وصالحوا عن بلا دهم صلحاً ، فخسف خراجهم ، ولم تسفك بينهم دماء " ، وتوثقت الأصره بالتقاء الأقليميين تحت راية الجهاد في مناطق الشغور فيما وراء النهر والسند .

ودعم الأمويون هذا الترابط ، وجعلوه وحدة إدارية ، فكانت الأقليمان - في معظم عهدهم - يعدان ولاية واحدة ويخضعان لأمر واحد ، وبدأ هذا الاتجاه في عهد معاوية بن أبي سفيان السدي جعل لوالي الكوفة المغيرة بن شعبة الإشراف على الرّي ، ولوالسي

البصرة عبد الله بن عامر بن كريز إلى شراف على خراسان وسجستان
ثم جمع كل هذه المناطق تحت إمرة زياد بن أبيه سنة ٥٥ هـ ، فكان
أول من جمع بين مصرى العراق (الكوفة والبصرة) وما والاها ،
وامتدت ولايته من العراق إلى السند (١)

وقد حاول بعض الخلفاء الأمويين أن يغير هذه القاعدة ويجعل
من إيران ولاية مستقلة عن العراق ، لكن التجربة كانت تؤكد ضرورة
العودة إلى الربط بينهما ، فقد عزل الخليفة هشام بن عبد الملك
خالد بن عبد الله عن العراق وخرسان (وكان أخوة أسد بن عبد
الله ينوب عنه في خراسان) سنة ١٠٩ هـ ، وجعل خراسان مستقلة
في إدارتها تحت إمرة عاصم بن عبد الله ، لكن هذا الوالى مال إلى
أن تبين مغبة هذا الوضع الجديد ، وكتب إليه : " إن الرائد لا يكذب
أهله ، وإن خراسان لا تصلح إلا أن تُضم إلى العراق وتكون موادها
ومعونتها من قرب ، لتباعد أمير المؤمنين وتباطؤ غياثه عنها " (٢)

وحاول الخليفة مرة أخرى أن يجعل والى خراسان نصر بن
سيار (الذى ولاه سنة ١٢٠ هـ) مستقلا عن والى العراق يوسف بن
عمر الثقفى ، ومنحه السلطات واسعة ليستطيع مواجهة ما نشق فى
ولايته من فتن ، فكتب إليه والى العراق : " إن خراسان دبره دبره ،
فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمها إلى العراق ، فأسرح إليها

(١) ابن الأثير طبعة دار الكتاب العربى فى بيروت ٢٠٧ / ٣ ،

٢٢٨ ، ٢٠٨

(٢) ابن الأثير ٢١٩ / ٤

الحكم بن الصلت. " ولكن الخليفة رفض رأيه ، وأصر على سياسته وقال له : " خل الكنانى وعمله " (١) ولكن هذا الاتجاه لم يستمر طويلا ، وعادت القاعدة القديمة بعد الخليفة هشام ، وضمت خراسان الى العراق فى ولاية منصور بن جمهور الكلبى سنة ١٢٦ هـ (٢) .

وفوق ذلك فقد كانت أحداث العراق تنعكس بصورة مباشرة وعميقة على ايران ، كما كانت أحداث ايران تتجاوب أصداؤه فى العراق ، وكانت معظم الثورات والحركات الفكرية تمتد من أحدهما إلى الآخر فى سرعة ، كما كانت العناصر البشرية فيها تتمازج وتتفاعل فنجد الموالى الايرانيين يكثرون فى مصرى العراق ، كما نجد العناصر الاساسيه فى الجيوش الخراسانية من عرب العراق، وسنتحدث فى فصول تالية عن هذا التأثير المتبادل بمزيد من التفصيل .

وقد اتخذت الهجرات العربيه إلى ايران من العراق معبرا وطريقا للهجرة ، بعد أن استقرت فيه أولا ، واتخذت القبائل اليمينية من الكوفة مركزا لتجمعها ، وكانت تسمى " أرباع الكوفة " لأنها تشمل أربع قبائل رئيسية هى : الأزد ومذحج وهمدان وكندة ، واتخذت القبائل النزارية (مضر وربيعه) من البصرة مستقرا لها ، وكانت تسمى " أرباع البصرة " وتضم بصفه أساسية : بكرأ وعبد القيس ، وتميما وأهل العالية ، وهم أهل المدينة ومعظمهم من قيس (٣) ، ويشملون

(١) محمد ماهر حماده : الوثائق السياسية والادارية العائده الى العصر الاموى - الطبعة الرابعة - بيروت سنة ١٩٨٥ - ص ١٩٠ - ٤١٩ .

(٢) الطبرى ٩ / ٣٢

(٣) ابن الاثير ٤ / ١٦٨ ، ولها وزن : بتاريخ الدوله العربيه ترجمة الدكتور ابو ريده - القايره ١٩٦٨ م - ص ٣٨٠ ، ٣٨١

جماعات من قريش وكنانة والأزد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان ومزينة^(١) ولحقت بالبصرة في وقت متأخر نسبياً جماعات من قبيلة الأزد اليمنية ، وذلك في اواخر عهد معاوية بن ابي سفيان ، فكانت قبائل البصرة ، وبخاصة المضرية ، تنظر إليها على أنها دخيلة محدثة لا يجوز لها أن تنافسهم على الزعامة والقيادة ، ولذا كانست الأزد تحاول توطيد أقدامها في البصرة بالاعتماد على حليف قوي يقبل مؤازرتها ، ولما وجدت صدوداً واعراضاً من تميم اتجهت إلى ربيعة التي رحبت بهذا الحلف ، لما كان بينها وبين اليمنية من ارتباط قديم وبدافع التنافس والعداء الذي كان بينها وبين تميم^(٢) ، وبذلك أصبحت في البصرة كتلتان عربيتان متنافستان أولاهما ، وهي الأقوى والاكثر عدداً ، الكتلة المضرية التي تتزعمها تميم ، والثانية الأزد وربيعه ، وبعض القبائل اليمنية .

وبعد استقرار هذه القبائل في العراق زماً بدأت تندفع في هجرة أخرى نحو المناطق الإيرانية في موجات متوالية استمرت طوال العصر الأموي ، بدافع من هذه القبائل ، ودفع وتشجيع من

(١) ابن خلدون : العبر - ط بيروت ١٩٨٣ م - ١٦٧ / ٥

(٢) الطبري ٢٦ / ٧ وسنعود الى هذه النقطة بشيء من التفصيل في

الخلافة الأموية، إذ كانت هذه القبائل قريبة من عهد البداوة ولم تتمرس بالحضارة والاستقرار، ولم تتعود الخضوع لسلطه مركزية فكانت ترى في مناطق الأطراف بعيداً عن قبضة الخلافة وسلطانها، مما سمح لها بحرية الحركة والتخفف من القيود، كما أنها كانت ذات طبيعة قتالية، ربطت حياتها بالسيف والرمح والجواد، فكانت تسعى إلى مناطق الثغور التي تلائم هذه الطبيعة لتشارك في استمرار حركة الفتوحات، مما يحقق لها مزيداً من الكسب المادي والسياسي، وكانت الخلافة بدورها تعمل على استثمار طاقة هذه القبائل وقوتها في الجهاد والفتح لتشغلها عن التفكير في الثورات والفتن، فتشجعها على الهجرة نحو مناطق الأطراف، وقد تدفعها إلى ذلك دفعاً، ويتضح ذلك مما ورد على لسان الحجاج بن يوسف الثقفي وإلى المناطق الشرقية لأهل العراق: «إني لم أجد لكم دواء أدوى لداءكم من هذه المغازي والبعوث، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفل منها تعقب راحة» (١)

وكانت الهجرات العربية من العراق إلى إيران تتم بأعداد كبيرة وتهدف إلى التوطن والاستقرار، بدليل اصطحاب المقاتلين لأسرهم وأصطحاب القادة لقبائلهم معهم، فكان الأحنف بن قيس فاتحاً

(١) حمادة: الوثائق السياسية (عن العقد الفريد) ص ٣١٨

خراسان يتقدم قومه بنى تميم ، وكان المهلب بن ابي صفرة صاحب
البلاء الاكبر فى قتال الخوارج يتقدم قومه الازد ويصطحبهم معه .

ومن موجات الهجره الكبيرة البعث الذى سيّره الوالى زياد بن
أبيه الى خراسان سنة احدى وخمسين من الهجره بقيادة الربيع
بن زياد الحارثى ، وكان تعدادهم خمسين ألفاً من أهل الكوفة
والبصرة بعائلاتهم ، فقد موا خراسان واستوطنوها (١)

واستمر مصر العراق يغذيان إيران بالعناصر العربية المقاتلة
ويمدان جيوش الخلافة فيها بالجند طوال العصر الأموي ، وبخاصة
عند الشروع فى فتوحات جديدة ، أو مواجهة حركات التمرد والثورات
ومنها القوة الكبيرة التى وجهها الخليفة هشام بن عبد الملك
سنة ١١٢ هـ لمؤازرة قوات تائده الجنيد فيما وراء النهر أمام
العناصر التركية وكتب إليه : (قد وجهت إليك عشرة آلاف من أهل
البصرة وعشرة آلاف من أهل الكوفة " ، وكان معظم هؤلاء الجنود
يستقرون بخراسان ويصبحون من أهلها .

وبلغ عدد القوات العربية الأساسية الموجودة فى منطقة خراسان
وحدها فى سنة ٩٦ هـ ، وفق الإحصائية التى سجلتها لنا المصادر

(١) ابن الأثير ٣ / ٢٢٤ ، ٢٤٣

سبعة وأربعين ألفاً ، منها عشرة آلاف من تميم ومثلها من الأزد ،
 وتسعة آلاف من أهل البصرة والعالية ، وسبعة آلاف من أهل
 الكوفة ، وسبعة آلاف من بكر ، وأربعة آلاف من عبد القيس (١) ، ولا شك
 أن هذا العدد يتضاعف عدة مرات إذا أضفنا إليهم عائلاتهم
 ويتضاعف أكثر إذا أضفنا إليه القوات الاحتياطية والمتطوعة ، والقوات
 الضخمة التي كانت مرابطة في ثغور ما وراء النهر والسند ، والقسوات
 التي وجهت لقتال الخوارج في مراكز تجمعهم مثل فارس وكرمان .

سمات الهجرة :

كانت الهجرة العربية إلى إيران ذات طابع عسكري ، إذ أنها
 قدمت للفتح وحماية الثغور بالدرجة الأولى ، ولم يكن الهدف منها
 التوطن في المناطق الزراعية وفلاحتها ، لأن العرب المهاجرين كانوا
 من قبائل البدو التي نشأت على حب القتال واحتراف الحرب ، وحرصت
 الخلافة من جانبها - منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه - على
 الاحتفاظ بهذه الخاصية ، حرصاً على القوة الحربية العربية التي
 تعتمد عليها الدولة الإسلامية في المقام الأول ، وكانت هذه السياسة
 في صالح الشعوب المفتوحة ، إذ سمح لهم أن يحتفظوا بالأرض ،
 الزراعيه في أيديهم ، وأن يقوموا على زراعتها مقابل جزء من انتاجها
 يسمى الخراج ، ومنح أبناء هذه الشعوب الحريه ، ولم يعاملوا كسبي
 أو أسرى حرب ، ليؤدوا دورهم في عمارة الأرض ، وكتب عمر ابن الخطاب
 للعرب الفاتحين عندما سبوا جماعة من أهل الأهواز : " لا طاقة

لكم بعمارة الأرض فخلوا ما في أيديكم من السبي ، واجعلوا عليهم الخراج " (١) .

لكن هذا لا يعني أن العرب كانوا بمعزل عن العناصر الإيرانية وسنرى في حديثنا عن الموالى أن العرب خالطوهم وتزوجوا منهم ، ورغم أنهم كانوا يربطون في القلاع والحصون ومناطق الثغور ، إلا أنه كان لكثير منهم أرض وضياع في القرى الإيرانية (٢)

وكانت هذه الهجرة أيضاً ذات طابع قبلي ، إذ ظل ولاء المهاجرين لقبائلهم أولاً ، وتفانوا في نصره عصبياهم ، والتزمت كل قبيلة بطاعة زعيم منها ، لا يسألونه فيم يطيعون ، وعلام يقاتلونه ؟ وقد وصف معاوية بن أبي سفيان - في حديثه لبعض أهله - الحنف بن قيس سيّد تميم في خراسان والعراق ، فقال : " هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم ، لا يدرون فيم غضب " (٣)

وكان والى خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي (٤) يقول على منبر خراسان : " والله لرجل من قومي أحب إليّ من مائة من غيرهم " (٥)

واستمرت هذه القبائل المهاجرة محتفظه بكثير من طبائعها البدوية التي كانت عليها قبل الإسلام مثل التفاخر بالأنسـاب

(١) البلاذري : فتوح البلدان ٣٧٠

(٢) ولها وزن ٣٩٥

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٨٦ / ٢

(٤) تولى سنة ١٠٠ هـ ثم عزله بن عبد العزيز لشكوى الموالى منه في نفس السنة .

(٥) الطبري ١٣٤ / ٨

والأحساب ، والتغنى بأيامها وانتصاراتها ، وكان الفرزدق شاعر تميم يقول (١)

أَلَسْتُ أَعَزُّ النَّاسِ قَوْمًا وَأَسْرَةً وَأَمْنَعُهُمْ جَارًا إِذَا ضَمَّ جَانِبُهُ
أَنَا ابْنُ الْجِبَالِ الشَّمْفِيُّ عِدَدُ الْحَصَى وَعِرْقُ الشَّرَى عِرْقِي فَمَنْ ذَا يَحَاسِبُهُ
وَكثُرَتِ الْعِدَاوَاتُ وَالصَّرَاعَاتُ بَيْنَ الْقِبَائِلِ الْمُهَاجِرَةِ فِي مَوَاطِنِهَا
الْجَدِيدَةِ لِأَسْبَابِ تَأْفِهِ ، حَتَّى قِيلَ إِنْ الْحُرُوبُ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ تَمِيمٍ
وَبَكْرِ فِي مَنطَقَةِ سَجِسْتَانَ وَحَدَّهَا بَلَغَتْ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ وَقَعَهُ (٢)

وَمِنَ الْوَقَائِعِ الْمَشْهُورَةِ مَا حَدَثَ فِي مَنطَقَةِ الْبُرُوقَانِ مِنْ أَرْضِ بَلَخِ
سَنَةِ ١٠٦ هـ بَيْنَ كَتَلَةِ الْمَضْرِيَةِ الَّتِي تَرَأْسُهَا تَمِيمٌ وَتَحَالَفِ الْيَمِينِيَّةِ
وَرَبِيعِهِ (بَكْرٌ وَتَغْلِبٌ) ، وَقَالَ عَنْهَا الشَّاعِرُ الْمَضْرِيُّ بَيَانَ الْعَنْسَرِيِّ (٣)
أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَّةٌ لَّآلِ تَمِيمٍ أَرْجَفَتْ كُلَّ مَرْجَفٍ
تَظَلُّ عَيُونَ الْبَرَشِ بِكَرْبِنِ وَائِلٍ إِذَا ذَكَرْتَ قَتْلِي بِالْبُرُوقَانِ تَذَرْفُ

وَمِنْ سِمَاتِ هَذِهِ الْهَجْرَةِ أَنْ كَثِيرًا مِنْ أَوْضَاعِ الْقِبَائِلِ النَّازِحَةِ كَانَتْ
اسْتَمْرَارًا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ أَحْوَالُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَمْ تَسْتَطِيعْ - بَرغم -
ارْتِبَاطُهَا بِالْإِسْلَامِ ، وَتَحْوِيلُهَا إِلَى مَوَاطِنِهَا الْجَدِيدَةِ - أَنْ تَتَخَلَّصَ
تَمَامًا مِنْ تَرَكَمَاتِ السَّنِينِ لِطَوَالِ الَّتِي عَاشَتْهَا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي
عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمِنْ هُنَا كَثُرَتِ الصَّرَاعَاتُ وَاسْتَحْكَمَ الْعِدَاءُ بَيْنَ
تَمِيمٍ وَبَكْرِ ، وَهُوَ مِنْ تَرَاثِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي تَلْقَاهُ الْأَحْفَادُ عَنِ الْأَجْدَادِ

(١) ابن الأثير ٢٣٢ / ٣

(٢) ابن عبد ربه ٣١٩ / ٢

(٣) الطبري ١٨٣ / ٨

ويروى التاريخ كثيرا من المفاخرات والعنازعات التي وقعت بين
جدي القبيلتين "تميم بن مرة" و"بكر بن وائل" حتى قيل إن تميمًا
قال لخصمه : "أسألك العداوة ماحيينا" فرد عليه : "وإن متنا
نورثها البنينا" (١) .

وحملت القبائل المهاجرة - الى جانب تراث الجاهلية - سمات
حياتها إبان اقامتها في مصرى العراق ، وكانت حياتها السياسية
في المناطق الإيرانية استمرارا لما كانت عليه في العراق ، ومن ذلك
الحلف الذى وقع بين الأزدي وربيعة في البصرة ، واستمر بينهما بعد
رحيلهما إلى إيران ، وظل عنصرًا مؤثرًا في الأحداث طوال العصر
الأموي .

فعندما قدم الأزدي إلى البصرة متأخرين عن غيرهم من القبائل
في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان وبداية عهد ابنه يزيد - وجدوا
تكتلا مضرًا ، وحذر الأحنف بن قيس قومه بني تميم - وهم أكثر
المضرية هناك - من السعى إليهم أو طلب التحالف معهم ، وقال لهم :
"إن أتوكم فاقبلوهم ، وإلا فلا تأتوهم ، فانكم إن أتيتموهم صرتم
لهم أتباعا" وانتهزت ربيعة حذر تميم وترددتها وسبققتها إلى
محالفة الأزدي ، بدافع من عداوتها القديمة لتميم ، وتجديدًا للتحالف
القديم الذى كان بينها وبين اليمانية قبل الإسلام ، وأقبل سيد ربيعة
في البصرة مالك بن مسمع على سيد الأزدي مسعود بن عمرو المعنى

وقال له : جددوا حلفنا وحلف كنده في الجاهلية وحلف بني
ذهل بن ثعلبة في طي بن ازد من ثعل ، ووافق الازد على
هذا الحلف شريطة أن يكون الرئيس منهم وعندما هاجروا إلى
المناطق الإيرانية التزموا بهذا التحالف ووقفوا جبهة واحدة
ضد المضيره (١)

وظلت القبائل المهاجرة بعيدة عن الالتزام بطاعة السلطنة
المركزية التي تمثلها الخلافة وعمالها ، لأن هذه القبائل لم تتعود
الاستقرار ، ولم تتمرس بحياة النظام والخضوع للدولة ، ولم تجد خلال
رحلتها من جزيرة العرب إلى إيران ما يساعدها على تغيير نظامها
البدوي ، وعندما نزلت أولاً في الكوفة والبصرة لم تكن معها عناصر
أخرى تخالطها وتؤثر فيها ، فتعلم منها الخضوع والالتزام ، ولذا
كثرت اضطراباتهما وخروجهما على الخلافة وعمالها ، بعكس القبائل
العربية التي استوطنت الشام ، واستقرت فيها قبل الإسلام بفترة
طويلة ، وارتبطت بدولة الروم ، وورثت كثيراً من المؤثرات الحضارية
عن الدول والمدنيات التي قامت في منطقتهم من آرامية ويونانية
ورومانية ، وعرفوا كثيراً من النظم السياسية والعسكرية والإدارية
المتطورة بمقاييس عصرهم ، فكانت هذه القبائل الشامية أكثر تقبلاً
لفكرة الدولة ، وطاعة حكومة مركزية (٢)

وكانت القبائل المهاجرة إلى الأقاليم الإيرانية تستمد قوتها

(١) الطبري ٢٦ / ٨

(٢) انظر د . نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية - دار الفكر في

بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٨٣ م - ص ٧٩

ومكانتها السياسية من كثرة عددها ، وما تؤدّيه من دور حربي ، واستطاعت تميم التي قيل إنها تعدل خمس القوه العربيه فـسـى خراسان^(١) ان تحتل مكان الصدارة بين هذه القبائل ، وزادت قوتها بالتفاف القبائل المضريّة الأخرى وبخاصة قيس ، من حولها ، وقال عنها الخليفة هشام بن عبد الملك : " إن تميما أكثر أهل خراسان^(٢) ، وكانت تميم بالإضافة إلى كثرة عددها - صاحبة البلاء الأكبر فـسـى فتوحات خراسان منذ عهد عمر بن الخطاب ، وسطر فرسانها صفحات حافلة بالانتصارات وعلى رأسهم زعيمها الاحنف بن قيس فاتح خراسان ، وغيره من قادة الفتح في الاهواز وسجستان^(٣)

وتعدى بلاء تميم إيران إلى الشغور المجاورة ، فشاركوا بصورة فعالة في حملات ماوراء النهر والسند ، كما أبلوا في نصره الخلافة الأمويه ضد الخارجين على سلطانها ، وكان مجاعه بن سحر التميمي يقود جيوش الحجاج التي قمعت الفتن في السند ، وفتحت اجزاء من قند ابي^(٤) ، وكانت تميم اول الرافضين لثورة قتيبه بن مسلم ضد الحكم الاموي ، وأول المتصددين لها^(٥)

وتلتها في المكانه الأزد ، بما لها من عدد وبلاء ، وقامت بدور قتالي مشهود ، وبخاصة في قمع ثورات الخوارج التي استشرت فـسـى

(١) الطبرى ١٠٦ / ٨ (٢)

(٢) حماده : اتلوثائق السياسيّه (عن الطبرى) ٤٨٨

(٣) انظر القائمه التي ذكرها محمود شيت خطاب باسماء الفاتحين في كتابه " قادة فتح بلاد فارس - الطبعة الثالثه - بيروت سنة

١٩٧٤ م . (٤) ابن الاثير ٦٤ / ٤

(٥) سيأتى حديث مفصل عن هذه الثورة في الباب الاخير من هذا البحث .

إقليمى فارس وكرمان ، وبلغت هذه القبيلة أوج عزها فى عهد زعيمها المهلب بن أبى صفرة ، الذى صحب قومه وقبيلته معه إلى المناطق الإيرانية ، وكان معتزاً بهم ، حريصاً على ألا ينتفص أحد من قدهم حتى انه رد على الحجاج عندما أراد أن ينال منهم بلسانه : " إِنْ شَرًّا مِنَ الْأَزْدِ لِقَبِيلَةٍ تَتَنَازَعُهَا ثَلَاثُ قَبَائِلَ لَمْ تَسْتَقِرْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ (١) وهو بذلك يعرض بثقيف قبيلة الحجاج .

وقد استطاع المهلب أن يعلى من شأنه وشأن قومه بما أبداه من شجاعة وحنكة فى حرب الخوارج ، وكانت له معهم أيام مشهورة (٢) ، وتبارى شعرا الأزد فى مدحه ومنهم كعب الأشقرى الذى قال (٣) لولا المهلب ما زرنا بلادهم مادامت الأرض فيها الماء والشجر والأزد قومي خيار القوم قد علموا إذا قروهم يوم الوغى خطروا

وتوزعت القبائل العربية المهاجرة المناطق الإيرانية ، وغلبت كل منها على ناحية ، وكثيراً ما كانت مواطنها الجديدة تتداخل وتحدث التنازع بينها ، وغلبت القبائل القيسية على نيسابور (قلب خراسان وحاضرتها) والمناطق الغربية من إيران ، أما فى المناطق الشرقية فتداخلت مواطن تميم وبكر ، ورأى كل منهما أنه أسبق من صاحبه وأولى بها ، ولذا كثرت الصراعات بينها ، وامتدت من خراسان إلى سجستان فى أقصى الشرق من إيران ، أما الأزد فقد كثروا فى خراسان والمناطق الجنوبية حيث كانوا يتولون قتال الخوارج .

(١) حمادة : الوثائق السياسية (عن الكامل للمبرد) ٣٦٤

(٢) مثل يوم هرمز ، ويوم سابور ، ويوم جيرفت .

(٣) الطبرى ٢٧٣/٧

وسرعان ما ارتبط العرب المهاجرون بمواطنهم الجديده ، وكانوا يشعرون أنهم خراسانيون^(١) ، وكانوا يسمون أنفسهم بأهل خراسان^(٢) وشاركوا الفرس في الاحتفال بأعيادهم مثل النيروز والمهرجان^(٣) ، وتشبهوا بهم في زيهم وحياتهم ، وارتدوا سراويلهم الطويلة^(٤) .

وكان استقرار العرب المهاجرين في إيران استقراراً للإسلام وعاملاً من أقوى العوامل في انتشاره ، لأن فتح العرب لإيران - وغيرها من البلاد - لم يكن فتحاً عسكرياً فحسب ، وإنما كان فتحاً بشرياً^(٥) .
انقسام العرب في إيران :

لم يتخلص العرب بعد الإسلام من عصبيتهم الجاهلية وظلّت عنصراً مؤثراً في تاريخهم وحياتهم في البلاد التي استوطنوها بعد الفتوح سواء في المشرق أو في المغرب والأندلس حقبة طويلة .

وترجع هذه العصبية إلى اختلافات عرقية غذتها عوامل أخرى متعددة ، فالعرب في الأصل ينقسمون إلى شعبين عظيمين أحدهما قحطان الذي استوطن اليمن وجنوبي بلاد العرب ، وثانيهما عدنان الذي عاش في شمالي شبه الجزيرة العربية ، وأدى تنائي الديار ،

-
- (١) ولهاوزن ٣٩٥
(٢) انظر : الطبري ٨ / ٢٢١ ، وابن الأثير ٤ / ٢٧٥ ، حمادة : الوثائق السياسية ٤٦٩ . (٣) النيروز عيد رأس السنة النجمية الإيرانية ، ويستمر الاحتفال به ستة أيام متوالية ، والمهرجان فسي الاصل عيد الاله " ميترا " ويرجع إلى مرحلة التاريخ الاسطوري عند الفرس (٤) ولهاوزن ٣٩٥ (٥) الدكتور حسن احمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي (بالاشتراك مع الدكتور احمد ابراهيم الشريف) * الطبعة الخامسة - ص ٤١

وما يفصلهما من صحارى وقفار إلى اختلاف اللغة ونمط الحياة لدى كل منهما ، وظل هذا الانقسام حتى بعد هجرة بعض القبائل الجنوبيه إلى الشمال ومجاورتها للعدنانيين فى عصور تاليه .

ولم يحتفظ العدنانيون بوحدتهم بل تشعبوا الى عصبيتين رببعه التى تضم قبائل بكر وتغلب وعبد القيس ، وتتركز فى منطقة السحريين ونجد ، ومضر التى تفرعت إلى قيس وخندف (١) ، وارتبطت بمنطقة الحجاز ووسط الجزيرة العربيه .

وتشعبت القحطانيه أو اليمنيه إلى قبائل متعددة منها قضاة وكلب وتنوخ وجهينه والازد وخزاعه وهمدان ومذحج وطيبى وبجيلة وكانوا يعتزون بأنسابهم ويعتبرون أنفسهم أصل العرب ، ولذا يسمون " بالعاربه " تمييزاً لهم عن عرب الشمال " المستعربه " الذين امتزجت بهم دماء وانددة من خارج الجزيرة العربيه ، كما اعتبر اليمنيون أنفسهم أرباب الحضارة والمجد التليد ، مذ كانت لسباً وحميماً دول ومدنيات ، ونقلوا بعض هذه المؤثرات الحضارية معهم فى هجرتهم الى أطراف شبه الجزيرة العربيه ، وإلى يثرب ، ونظروا إلى العدنانية على أنهم بدو ظاعنون ضاربون فى بيداؤ التخلف .

وفى الجانب المقابل نجد المضريه وعلى رأسهم قريش يعتزون بزعامتهم الدينيه من لدن ابراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام ، وما

(١) خندف هى الأم التى انحدرت منها قبائل هذيل وكنانه واسد والهون ومزينه والرباب وضبه ، و اليها تنتسب قريش .

اختصهم الله به - بعد ذلك - من شرف النبوة ومنشأ الإسلام ،
الى جانب نقاء لغتهم وفصاحة لسانهم ، حتى أصبحت لغة الشعر
والادب واستحقت ان يشرفها الله بجعلها لغة كتابه الكريم
واليهم ينتسب الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه على مدى عدة
قرون .

أما ربعة فكانوا يرون أنفسهم أصحاب البأس والقوه ، وأحق
بالسيادة من أبناء عموماتهم المضرية ، وكانوا يحكم اتصالهم باليمنيه
ومجاورتهم لهم يرتبطون معهم بمحالفات قديمه ، فجددوها بعد
هجرتهم الى المواطن الجديد - كما ذكرنا - بدافع البغض
والكراهيه للمضرية .

وفى المناطق الإيرانية كانت كفة المضرية ترجح خصميهها (اليمنيه
والربعية) لكثرة عددهم ، وترابطهم وتآزرهم فى مواجهة الحزب
المنافى ، وانتماء أكثر الولاة والعمال اليهم .

وكانت تميم تحفظ لهم هذه القوه بما لها من ثقل بشرى فى
المنطقه ، وما أبدته من بأس وشدة فى المجال الحربى .

وساعد تميم على احتلال هذه المكانة الرفيعة ما كانت تتمتع فى
بداية عهدا بالعراق وايران من زعامه قويه تتصف بالعقل والحكمة
تمثله فى زعيمها الأحنف بن قيس الذى ضرب به المثل فى الحكمة
فكان يتقدم بها فى طريق المجد والسؤدد ، وكتب باسمهم النسي
الخليفه عمر بن الخطاب ليساعدهم على الاستقرار فى المواطن
الجديده قائلا : " فالأ ترفع خديستنا ، وتجبر فاقتنا وتزيد فى عيالنا
عيالا ، وفى رجالنا رجالا ، وتصفر دهمنا ، وتكبر قفيزنا ، وتأمر لنا بحفر نهر

نستعذب به الماء هلكننا " فقال عمر : هذا والله هو السيد ، وأمر والى البصرة - فى ذلك الوقت - ابا هريرة أن يحفر لهم نهرا^(١)

وكان الأحنف يبصر قومه ويدعوهم الى الوحدة والتآزر فيقول لهم " يا بنى تميم تحابوا وتباعدوا تعدل أموركم ، وأبدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم " (٢)

وصحب الأحنف قومه فى حركة الفتح الى ايران ، وقادهم تحت رايته ففتح خراسان ، وأصبح واليا عليها فى عهدى عمر وعثمان رضى الله عنهما ، وأتخذ من مرور الروذ (٣) قاعدة له ، وأستوطن قومه فى كوربلخ الأربع (٤)

وظل الأحنف صاحب المكانة السرفيعة فى العهد الأموى ، فكان من أهل الرأى الذين يرجع اليهم العمال ، ومن مستشارى معاوية المقربين ، وكان يرعى مكانته ويؤثره ، ولذا عنف الوالى زياد بن أبيه وهدده بالعزل عندما جفا الأحنف ، وقبح رأيه فى مبادئه وأوصائه برعاية قدره (٥)

ولم يكن فضل الأحنف مقصورا على قبيلته ، بل كان يعمل على

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦٣ / ٢

(٢) محمود شيت خطاب : قادة الفتح فى بلاد فارس ٢٢٧

(٣) مروالروذ : مدينه تبعد عن مرو الشاهجان (وهى مرو العظمى قصبه خراسان) خمسة أيام ، والمرو هو الحجر الذى تقدر به النار والروذ بالفارسيه النهر ، لأنها قائمه على نهر عظيم وهى أصغر من مرو الأخرى (ياقوت ٥ / ١٢)

(٥) ابن الأثير ٢٥٧ / ٣

(٤) ابن الأثير ١٨ / ٣

جمع كلمة العرب في العراق وابران والتخفيف من حدة عصبيا تهم ، فقال لزعماء الحلف المنافس : يا معشر الأزد وربيعة أنتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الصّهر ، وأشقاؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ، والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ، ولا زد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ، فإن استشرى شأنكم ، وأبى حسد صدوركم ، ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولكم (١)

وظل الأحنف حفيا بالاحترام من جميع الأطراف ، من بني أمية ومن منافسيهم وأعدائهم ، لالتزامه جانب الاعتدال فيما وقع بين المؤمنين والعلويين ، وبين الأمويين والزبيريين ، وعندما مات صلي عليه مصعب بن الزبير وقال : " هذا سيد أهل العراق " (٢)

أفتقدت تميم هذه الزعامة الحكيمة بعد الأحنف ، ولذا أصابها شيء من التفكك والانقسام بسبب التنافس على الزعامة والقيادة . وكان هذا أحد الأسباب التي أخرتها عن الصف الأول ، وجعلت قبائل قيس التي كانت دونها عددا وقوة تتقدم عليها مثل ثقف وباهلة وذبيان (٣) ، وكذلك قبائل اليمن التي كانت دونها عصبية مثل بجيلة (٤) ، لم يتول الإماره في العراق وخراسان أحد من تميم بعد الأحنف بن قيس ، وبقيت دائما في الصف الثاني ، وكان منها كثير

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣٤ / ٤

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٧١٦ / ٢

(٣) من الولاة الثقفين : زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف وعبيد

ابن زياد ويوسف بن عمر ، ومن الباهليين : قتيبة بن مسلم ، ومن الزبانيين : عمر بن هبيرة ، وعدى بن أرطاة .

(٤) ينتمي اليهم الوالي خالد بن عبد الله القسري وأخوه ونائبه فسي

خراسان أسد بن عبد الله .

من مساعدى الولاة ونوابهم .

وظهرت فى تميم - بعد الأحنف - فى الفترة التى أعقبت ثورة الزبيريين كتلتان متنافستان فى خراسان ، تضم الأولى عدة بطون منها تسمى " الأبناء " (١) يتزعمهم بكير بن وشاح ، والثانية تضم فروعاً أخرى من تميم تسمى " مقاس " و"البطون " (٢) يتزعمها بحير بن ورقاء التميمي .

وقد حاول فريق الأبناء أن يشق طريقه نحو الزعامه بأكتساب رضا بنى أمية ، فأظهر الإخلاص لهم ، والدفاع عن سلطانهم خلال الاضطرابات التى أعقبت ثورة ابن الزبير ، وتصدوا لمحاولة التمرد التى أبادها والى خراسان عبد الله بن خازم الذى رفض البيعه للخليفة عبيد الملك بن مروان ووثبوا عليه وقتلوه ، وولوا مكانه زعيمهم بكير بن وشاح سنة ٧٤ هـ ، لكن فريق مقاس والبطون رفض هذه الزعامه ، والتفوا حول رئيسهم بحير بن ورقاء ، وكادت الفتنة أن تستشرى بينهما لولا ان كتب أهل خراسان الى الخليفة عبد الملك بن مروان مطالبين بتولية رجل من قريش " لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه " فاستجاب لهم وعين عليهم أميراً من البيت الأُموي هو أمية بن عبد الله بن خالد سنة ٧٤ هـ . (٣)

وهكذا أضع الانقسام الفرصه لتقدم تميم الى الصف الأول ، وقد

(١) هم ستة بطون من ولد سعد بن زيد مناة بن تميم (أنظر ابن عبد ربه ٣ / ٣٤٦)

(٢) مقاس هو الحارث بن عمر بن كعب بن سعد التميمي ، وتفرعت عنه بطون عدده ذكرها ابن عبد ربه فى العقد الفريد ٣ / ٣٤٦

(٣) الطبرى ٧ / ٢٠٩

أرتضت هذا الوضع، وقبلت أن يكون الوالى من غيرها من المضريين سواء أكان من فرع خندف الذى تنتمى إليه ، أو من فرع قيس ، ولكنها لم تكن ترضى " أن يصير الأمر فى غير مضر " (١) ، وقعت هى بالصف الثانى وأصبح زعيمها المتنافسان نائبين للوالى الجديد ، فتولى بحير شرطته ، وأصبح بكير نائبه على إقليم طخارستان (٢)

وحظى القيسيه بالنصب الاوفى من منصب الإمارة والمناصب القيادية ، وشاركهم أبناء أرومتهم المضرية من خندف فى بعض الأحيان مثل سعيد بن مروان ، ونصر بن سيار الكنانى ، وتضاءلت فرصة اليمانية ، فلم يتول منهم سوى المهلب بن أبى صفرة وأبنة يزيد ، وخالد بن عبد الله القسرى وأخوه أسد ومنصور بن جمهور الكلبى .

وقد نجد التنافس والصراع داخل العصبية الواحدة ، فكثيراً ما نرى العداء والتنافس بين أمراء القيسية ، فبقوم الوالى الجديد بالتنكيل بسابقه واضطهادهم ، ومثال ذلك ما فعله عمر بن هبيرة والى العراق فى سنة ١٠٥ هـ ، اذ أمر نائبه على خراسان مسلم بن سعيد بتقييد الوالى السابق سعيد الحرشى وإنفاذه إليه ، فلم يكتف مسلم بن سعيد بذلك ، بل قام بحبسه وزاد فى قيوده (٣)

(١) ابن الأثير ٤ / ١٤٠

(٢) المصدر السابق ٤ / ٦٤

(٣) ابن الأثير ٤ / ١٨٨ ، ١٨٩

وحظيت قبيلة ثقيف القيسية بنصيب وافر من السلطه في إيران وساعدها على ذلك صداقتها القديمة لقريش وبنى أميه منذ الجاهلية إذ كان لبنى أميه في الطائف بساتين وزروع، وأبدى أبناؤه كفاية وقدرة إدارية كبيرة، ولمع منهم المغيرة بن شعبه وزيايد بن أبيه وابنه عبيد الله بن زيايد، والحجاج بن يوسف الثقفي، ومحمد بن القاسم الثقفي، ويوسف بن عمر، وغيرهم (١)

وكانت الكتلة العربية الثانية التي تنافس المضريه، وتتخذ جانب المعارضة ضدهم هي اليمنيه والربعيه، وتتزعما قبيلة الأزد التي أرتبط مجدها في المناطق الإيرانية بزعيمها المهلب بن أبي صفرة مثلما أرتبطت تميم بسيدها الأخنف بن قيس.

وكان المهلب يسلك طريق السيادة والمجد ببطولته العسكرية وشجاعته الفائقة هو وأبناؤه، وأكتسابه لشقة بنى أميه ودفاعه عن نفوذهم في المناطق الشرقيه وموقفه المعتدل في الفتره الحرجه التي أهتمز فيها هذا النفوذ، وهي الفتره التي أعقبت وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ، وظهور الزبيريين وغلبتهم على العراق، وتمرد القبائل العربية في إيران وخروجها على طاعة بنى أميه.

ولم يستطع والى خراسان سلم بن زيايد أن يصمد في مواجهه هذه الأنواء، فجعل المهلب نائبا عنه، ورحل هو الى العراق عائداً،

(١) انظر نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أميه ص ٦٧

وواجه المهلب موقفاً طعناً إذ لقي معارضه نزارية قوية من ربيعة ومن مضر ، فقد قالت ربيعة لسلم بن زياد وعندما ولاه : " ضاقت عليك نزار حتى خلفت على خراسان رجلاً من اليمن ؟ " فأرضاهم باشتراك رجل منهم مع المهلب ووزع الأقاليم الإيرانية بينهما ، فأشار ذلك حفيظة مضر ، وقالوا له : " فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن ؟ " فاضطر إلى إرضائهم ، بأن كتب عهداً جديداً بولاية خراسان واحد من العنصرية هو عبد الله بن خازم^(١)

عندئذ انصرف المهلب إلى العراق ، ولم يخض في هذه الفتن وهناك بدأ يفرض احترامه على الجميع بكفائته وقدرته ، عندما تعرضت البصرة لخطر الخوارج الأزارقة ، وخشى أهلها على أموالهم وذرائعهم ، واجتمعوا إليه وعلى رأسهم زعيم المضرية الأحنف بن قيس وأصروا على اختياره ليقودهم ، وأعربوا عن ثقتهم في شجاعته ورأية وبصره بالحرب ، وكتبوا كتاباً إلى مصعب بن الزبير - الذي غلب على العراق في ذلك الوقت - وأعلموه بما أجمعوا عليه ، فصدق على هذا الكتاب وأمضاه ، وكلف المهلب بالتصدي للخوارج ، ووضع تحت قيادته اثني عشر ألفاً من المقاتلين ، فقادهم إلى النصر ، وأحرز بطولات عظيمة تردد صداها في الأفق ، وتبارى في وصفها الشعراء^(٢) وتعقب المهلب الخوارج في فارس وكرمان ، وغيرهما من مناطق إيران .

١ (الطبري ٧ / ٤٤)

٢ (ابن الأثير ٤ / ٣٤٩)

وساعده ذلك على الالتزام بالمسلك المعتدل الذي اختاره ، فكان بعيدا عن الاشتراك في القتال الذي دار بين مصعب وعبد الملك بن مروان فلم ينله سخط المؤمنين ، وعند ما انتصر عبد الملك سارع الى الدخول في بيعته ، فاعتفر له ما كان من ولائه للزبيريين ، وأعتبر هذه المبادرة دليلا على صدق نيته وإخلاصه ، وطلب منه الاستمرار في قتال الخوارج بعد فشل قائده عبد العزيز بن عبد الله وهزيمته أمام الأزارقة سنة ٧٢ هـ (١) ، فأثبت المهلب أنه فارس هذا الميدان غير منازع ، وتضاعفت قائمة انتصاراته باستمرار ، وأهله هذا النجاح أن يعين بعد ذلك واليا على خراسان سنة ٧٨ هـ تحت إمرة الحجاج ابن يوسف والي العراق ، ومالبث أن أحرز انتصارات مماثلة فيما وراء النهر (٢)

لم يكن الحجاج راضيا عن تقدم الأزد وزعمائهم المهالبة ، وخشى من منافستهم وتزايد سلطانهم ، وبخاصة بعد أن ولت الخلافة يزيد ابن المهلب بعد وفاة أبيه سنة ٨٢ هـ ، فأخذ يكيد له لدى الخلافة ويشككها في إخلاص المهالبة ، ويتهمهم بأنهم زبيرية لا يؤمن غدوهم ، وأخيرا أذن له الخليفة عبد الملك - بعد طول تردد - في عزل يزيد ابن المهلب ، وأراد الحجاج أن يتم الأمر تدريجيا حتى يمتص غضبه المهالبة وقيطتهم ، فعزل يزيد وولى أخاه المفضل تسعة

(١) المرجع السابق ١٩ / ٤

(٢) المرجع السابق ٧٣ / ٤

أشهر ثم عزله أيضاً ، وولى مكانه قتيبة بن مسلم الباهلى وهو من باهلة القيسية ، ولكنها قبيلة ضعيفة قيل عنها فى الجاهلية : وما ينفع الأصل فى هاشم إذا كانت النفس من باهلىة وكان الحجاج يهدف من وراء هذا الاختيار أن يعول الوالىبى الجديد عليه ، وعلى السلطه المركزيه للخلافه بدلا من الاعتماد على عشيرته (١)

ولم يكتف الحجاج بإقصاء المهالبة عن السلطه ، بل أراد يستأصل شأفتهم ، فأتهمهم لدى الخليفه الوليد بن عبد الملك بأنهم خانوا مال الله (٢) ، وأتاح له ذلك أن ينكل بهم ويلقيهم فى السجون .

ولكن خطة الحجاج لم تنجح الى النهاية ، فقد تمكن يزيد بن المهلب من الفرار من سجنه ، وأتجه الى الشام حيث لجأ الى صديقه ولى العهد سليمان بن عبد الملك ، وكان يولية عطفه ورعايته ، فبذل المساعى لدى أخيه الخليفه الوليد حتى حصل له على العفو والامان (٣).

ومالبت نجم المهالبة أن عاد فى سنة ٩٦ هـ يسطع فى أفق خراسان من جديد ، بعد أن توفى الحجاج والوليد ، وآلت الخلافة الى سليمان بن عبد الملك ، فأعاد يزيد بن المهلب والياً على

(١) ولها وزن ٤٢٦

(٢) ابن خلكان - وفيات الأعيان - ط بيروت - ٢٩٣ / ٦

(٣) ابن الأثير ١١٥ / ٤

خراسان في سنة ٩٧ هـ ، وجدَّ يزيد في إثبات جدارته وتثبيت إمارته كما كان يفعل أبوه ، فقام بحملة كبيرة لفتح بلاد الديلم ، ونجح في إخضاع جرجان وطبرستان اللتين أستعصتا على المسلمين حتى ذلك الوقت .

وكان تقدم الأزد تحت راية المهالبة أول محاولة لكسر احتكار المضرة للزعامة والولاية في إيران ، ولكن ظهورهم لم يستمر طويلاً ، إذ توفي نصيرهم سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ ، وأوقع يزيد بن المهلب نفسه في ورطة مع الخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز ، لأنه بالغ في كتابه إلى سليمان بن عبد الملك في مقدار الغنائم التي حصل عليها من فتح جرجان وطبرستان ، وكان يعلم أن سليمان لن يحاسبه ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز طالبه بما أثبتته على نفسه ، وأمره برد هذه الأموال إلى بيت المال ، فكتب إليه يزيد : " كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني به " ، ولكن الخليفة لم يقبل منه هذا العذر ، وأمر بحبسه ، وكان يكره من المهالبة عنفهم وشدتهم على الرعية ويقول عنهم : " هؤلاء جبايرة ولا أحب مثلهم " (١)

ولكن غلبة الخليفة على المهالبة لم تتعدهم إلى قومهم الأزد ، لأنها لم تكن صادرة عن عصبية أو دوافع شخصية ، ولكنها نابعة من حرصه على أموال المسلمين ، ومصالح الرعية ، وعدم موافقة سياستهم

لسياسته الملتزمه بالضل الإسلاميه .

وأما خليفته يزيد بن عبد الملك ، فقد اتخذ من القضاء على المهالبة شعاراً له ، لأنه كان صديقا للحجاج وأسرتة وساءة ماأوقعة ابن المهلب بهم أثناء ولايته ، وزادت نقمته عليهم بعد ثورة أبـن المهلب ضده ، فى بداية عهده سنة ١٠١ هـ .

وكان يزيد بن المهلب قد تمكن من الفرار من سجنه ، واجتمع اليه إخوته وقومة ، ودعا لنفسه فى البصرة ، ولكن المضرية من تميم وقيس وقفوا ضده ، وانضم اليهم أهل الشام فانهزم الأزدي وقُتل يزيد سنة ٢٠٢ هـ (١) ، وبذلك انكمش نفوذ الأزدي واليمنيه ، وعادت السيادة للمضرية ، وظل الأزدي ساخطين يتحينون الفرصة حتى جددوا ثورتهم بثورة أعنف وأقوى فى خراسان سنة ١٢٦ هـ بقيادة زعيمهم جديع بن علي الأزدي الملقب بالكرمانى لمولده فى كرمان ، وانضمت اليهم ربيعة ، واشتبكوا فى صراع عنيف مع المضرية (٢) .

وقد أدى انقسام العرب فى ايران الى كتلتين ، وكثرة الصراعات بينهم إلى تبديد قوتهم ، وضياع ثمرة جهودهم فى فتوحات ماورا النهر ، وتجروء الترك على غزوهم فى خراسان حتى وصلوا إلى مشارف مرو (٣) وانحسر سلطانهم عن إقليم السند ، وطمع فيهم ملك كابل "رتبيل" .

(١) الطبرى ١٥١ / ٨
(٢) ابن الأثير ٢٧٤ / ٤ ، ٢٩٤ وسنعود للأشارة الى هذا الصراع فى حديثنا عن ثورة الحارث بن سريج
(٣) ابن الأثير ٣٠٩ / ٤

وأُتاحت هذه الصراعات بين العرب الفرصة لتقدم العناصر
الفارسية ، التي كانت تعمل لمناصرة الدعوة العباسية تحت راية
أبي مسلم الخراساني ، وكان من السهل على قائدهم أن يزيـد
هوة الخلاف بين القوى العربية الثلاث : المضرية واليمينية والربعية
ويجهض أية محاولة للتقريب بينها ، ثم بنفرد بمواجهة كل منها على
حده ، وضاعت صيحة الوالي الأموي نصر بن سيار سدى وهو يحذر
العرب من هذه الصراعات قائلا (١) :

أبلغ ربعة في مرو وفي يمن	أن اغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تنشبون الحرب بينكم	كأن أهل الحجى عن رأيكم غيب
وتتركون عدواً قد أحاط بكم	ممن تأشب لا دين ولا حسب
فمن يكن سائلاً عن أصل دينهم	فإن دينهم أن تهلك العرب

موقف الخلافه من هذه العصبيات :

يرى البعض أن سياسة الدولة الأموية كانت تتجه إلى تشجيع
العصبيات ، والعمل على توسيع هوة الخلاف بينها ، وتنحياز
للقيسية تارة وللإيمينية تارة أخرى لتضرب بعض العصبيات ببعضها ،
وتوهن من قوتها ، وتنفرد هي بالسيادة والسلطان .

وهذا التصور ليس صحيحاً على إطلاقه ، فإن السياسة الأموية
وجدت هذه العصبيات ولم توجد لها ، ونظرت إلى الواقع فحاولت

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤ / ٤٧٨ ، الدينوري : الأخبار
الطوال ٣٠٧

أن تفيد منها وتوجهها لما يخدم مصالح الدولة ، وأجتهدت السى
حد كبير فى كسر هذه العصبيات وإيجاد نوع من التوازن بينها ،
ولم يكن انتماء الأمويين الى الأرومة المضرية دافعا الى التعصب
والانحياز لعنصرهم ، بل قد موا مصلحة الدولة أولا ، واعتمدوا على
العناصر التى تبدى الإخلاص والولاء لهم بغض النظر عن أصلها
ونسبها ، ولذا نجدهم فى كثير من الأحيان يقدمون اليمنية على أبناء
عصبيتهم المضرية من قيس وخندف . وقد وضعت الدولة فى اعتبارها
أن تقدم مصلحتها على كل اعتبار ، وأن تصطفى من العرب من يبدى
استعداداً لخدمة هذه المصلحة وبخاصة القبائل التى تمتلك القوة
والعدد ، وثبت إخلاصها فى الذود عن سلطانهم .

وسنجد الحديث عن السياسة الأموية إزاء العصبية العربية
يدفعنا إلى الاستطراد قليلا لتتبع هذه السياسة في ميادين أخرى
كالشام والمغرب بهدف المقارنة ، وأول ما يلفت نظرنا أن هذه
السياسة الأموية سلكت في كل ميدان وجهة تخالف ما سلكته في
الميدان الآخر ففي الشام مستقر ملكها ومركز نفوذها عقدت آصرة قوية
وتحالفا وطيدا مع قبيلة كلب اليمنية ، ودعمتها برباط المصاهرة منذ
عهد معاوية بن أبي سفيان ، فكانت هذه القبيلة سلاحها ضد
مناوئها وملاذها عند محنتها ، وأتى هذا التحالف ثماره عند ما
أهتز العرش الأموي عقب وفاة يزيد بن معاوية وأنبثقت الفتن في
أرجاء الدولة ، وتحقق لهم الانتصار الأول في مرج راهط على
القيسيه ، ثم أعقبه الانتصار الثاني على الزبيريين ، وقد عبر مروان بن
الحكم عن اعتزازه بهذا التحالف مع اليمنية فقال (١) :

لما رأيت الأمر أمراً نهياً بسرت غسان لهم وكلباً
لا يأخذون الملك إلا غصباً إن دنت قيس فقل لا قريباً

ولكن الدولة لم تجف القيسية وتناصبهم العداء إلى الأبد ، بل عادت الى سياسة الموازنه عندما خمدت الفتن واستقرت الأمور ، واتجهت الى تأليف القلوب فكان مسروان بن الحكم متزوجاً من قيسية ويمنية ، وكان بلاط عبد الملك بن مروان يضم زعماء القيسية مثل زفر بن الحارث وأبناءئة (١) إلى جوار زعماء اليمنية كابن الكلبى ، وروح بن زنباع الجذامى ، وقد وصف شاعر يمنى هذا الوضع الجديد فقال (٢)

فلولا أمير الموءنين لأصبحت قضاة أربابا وقيس عبده هــ

أما فى الميدان المشرقى فقد اتجهت السياسة الأموية اتجاهها آخر ، واضعة فى اعتبارها قوة الكتلة المضرية وكثرة عددها ، كما رأت أنها أكثر استعداداً من غيرها لنصرتها والارتباط بها ، لأن ربيعة التزمت جانب المعارضة والسخط الدائم ، وتأخر ظهور الأزدي فى العراق وإيران الى نهاية عهد معاوية وبداية عهد أبهرزید ، فكانت تميم فى الفتره السابقه لظهورهم ركيزه النفوذ الأموى فى المشرق ، وكان زعيمها الأحنف بن قيس من رجال معاوية المقربين ، واحتفظت تميم بهذا الدور بعد ذلك وبخاصة بعد اهتزاز الثقة الأموية فى الأزدي بعد ثورة يزيد بن المهلب ، وكانت تميم أول المتصديين لحركات المعارضة مثل ثورات ابن الأشعث وقتيبة بن مسلم ويزيد

(١) أنظر نبيه عاقل ١٦٠

(٢) الطبرى ٧ / ٤٣

ابن المهلب وغيرهم (١)

ولكن الدولة الأموية لم تقدم المضربة مطلقاً ، ولم تضع تميم فى مركز الصدارة برغم دورها الكبير فى نصرتها ، وذلك التزاماً منها بسياسة التوازن ، فجعلت الإمارة فى قبس دونها حتى لا تجتمع لها السلطة السياسية الى جانب القوة العسكرية والكثرة العددية ، واتجهت الخلافة الى اختيار الولاة القيسية من البطون الضعيفة ذات العصبية القليلة فى إيران مثل باهلة ، وكنانة ، وعندما اختار الخليفة هشام بن عبد الملك نصر بن سيار الكنانى نبه بعض رجاله الى أن عشيرته بخراسان قليلة ، فقال الخليفة : " أتريد عشيرة أكثر منى ؟ أنا عشيرته " (٢) ، وكان مقصد الخلافة من هذا الاختيار أن يعتمد الولاة على الحكومة المركزية أكثر من عصبياتهم .

وكان كثير من الولاة ينساقون وراء عصبياتهم ويضطهدون من دونها ، وكان هذا مسلماً شخصياً صادراً عنهم ، ولم تكن الخلافة تشجع هذا الاتجاه ، بل كانت تسعى لمقاومته ، وتبادر إلى عزل الولاة الذين يغالون فى عصبياتهم مثل الجراح بن عبد الله الحكيم الذى عزله عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ ، والجنيد ابن عبد الرحمن الذى تولى خراسان من سنة ١١١ الى ١١٦ هـ ، ولم يستعمل إلا مضرين (٣) .

(١) سنشير الى هذه الثورات فى فصل تال .

(٢) الطبرى ٢٥٨ / ٨

(٣) الطبرى ٢٠٥ / ٨

وكانت الخلافة تعمل على كسر احتكار القيسية للزعامة والإمرة فأشركت معهم اليمنية منذ عهد عبد الملك بن مروان بتولية المهلب على خراسان سنة ٧٩ هـ ، وتولية ابنه يزيد في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧ هـ ، كما قام هشام بن عبد الملك بعزل والي العراق عمر بن هبيرة الفزاري سنة ١٠٥ هـ واستعمل خالد بن عبد الله القسري ، واليمنية يعدون خالدًا وقبيلته منهم ، كما عزل يزيد بن الوليد والي العراق يوسف بن عمر الثقفي وولى مكانه منصور بن جمهور الكلبى سنة ١٢٦ هـ ، وأمره أن ينكل به وبرجاله ، والمعروف أن ابن هبيرة ويوسف بن عمر كانا من غلاة القيسية ، وقد تكون لهذا العزل أسباب أخرى الى جانب المغالاة في العصبية ، ولكن الظاهره التي نريد إثباتها هنا هي اشراك اليمنية وسعي الخلافة إلى الموازنه بين العصبيات .

وما يقال عن انحياز الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ) للقيسيه ينقصه كثير من الدقة ، لأن اعتماده عليهم ونبذه لليمنية كان بسبب ثورة المهالبة العنيفة ضده ، وتهديد يدهم لسلطانه ، وليس نابعاً عن تعصبه لقومه وانحيازه لهم ، ولا يمثل سياسة مدبرة لتقليص نفوذ اليمنية وإقصائهم ، بدليل أنه في الشام لم يتبع نفس السبيل واعتمد على اليمنية كلية ، واتخذ منهم معظم جيشه الذي وجهه لقتال المهالبة ، وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجل منهم يسمى القحل الكلبى (١) .

وأما في المغرب - استكمالا لجوانب القضية - فكانت الخلافة

في البداية تولى عمالا من القيسية ، وكانوا يوفدون من الشام
على رأس الجيوش القادمة لإخضاع التائرين والمشقتين ، فكانوا بذلك
يملكون القوة العسكرية في أيديهم ، وكان بعضهم شديد المغالاة
في عصبية مثل كلثوم بن عياض وابن أخيه بلج بن بشر ، ولكن
اليمنية كانوا يشكلون غالبية العرب في المغرب ، واستطاعوا بذلك
أن يفرضوا وجودهم ويتصدوا لتعصب القيسية ، ويجبروا الخلافة
على تعديل سياستها نحوهم ، وكان من نتيجة الخلاف الذي وقع بين
اليمنية وكلثوم بن عياض وابن أخيه انهزام الفريقين أمام البربر سنة
١٢٤ هـ في موقعتي الأشراف وبقدورة ، وفقدت الخلافة سلطانها على
المغرب الأقصى ، وكادت أن تفقد نفوذها في المغرب الأدنى
أيضاً . (١)

وفي الأندلس أيضا تصدى اليمنية للنفوذ القيسي ، وأعلنوا
استيادهم من تتابع الولاة القيسية ، وقال زعيمهم أبو الخطار حسام
أبن ضرار الكلبي أبياتا يعاتب فيها بني أمية ويذكرهم بما قاموا
به اليمنية من أجلهم فقال (٢)

أناءت بنو مروان قيساً دماً لنا وفي الله إن لم تعدلوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وقيناكم حر القنا بنحورنا وليس لكم خيل تعدو ولا رجل

(١) ابن عذاري : البيان المغرب " ط بيروت " ص ٥٦ ، ٥٧

(٢) ابن الأثير ٢٦٠ / ٤

وكان هذا النداء حافزاً لأن تعيد الخلافة حساباتها ، والنظر
فى سياستها ، وقال العباس بن الوليد - ابن أخى الخليفة - للخليفة
هشام بن عبد الملك : " يا أمير المؤمنين ليس يصلح هذا الأمر
إلا بما صلح به أوله ، فاصرف نظرك وحسن رأيك إلى هذه القحطانية^(١)
واستجاب الخليفة لهذه المشورة وولى اثنين من اليمنية على المغرب
والأندلس وهما حنظلة بن صفوان الكلبى ، وحسام بن ضرار
سالف الذكر .

وهكذا لا يمكننا أن نتابع رأى القائل بتعصب الخلافة الأموية
وايثارها القيسية ، وتشجيعها للخلافات العصبية ، ونرى أنها
على العكس من ذلك تبذل الجهد لإيجاد نوع من الموازنة التى
تحقق الاستقرار والمصلحة ، وتحاول أن تؤلف القلوب وترضى جميع
الأطراف وبخاصة التى تتمتع بالقوة وتمثل الغالبية .

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٧

الفصل الثاني

المعالي الايرانيون

الفصل الثانى

الموالى إلى الإيرانيون

العلاقة بين الموالى والعرب :

لم يكن للإيرانيين موقف معادٍ للوجود العربى ، إذ أنهم بدأوا بعد فتح بلادهم صفحة جديدة ، وانتقلوا من مرحلة إلى أخرى ، وأقبل كثير منهم على اعتناق الاسلام عن اقتناع ورغبة ، ولم تتسرك المقاومة العنيفة التى أبدوها أمام الفاتحين العرب آثاراً عدائية ، فلم يحدث منهم أن تكتلوا ضد العرب ، أو حاولوا طردهم من بلادهم وبخاصة أن العرب لم يتدخلوا فى شئونهم الدينية ، وسمحوا لمن أراد أن يبقى على دينه الأول بممارسة شعائره بكل حرية ، ولم يلزموهم الا بالجزية ، وهى أقل بكثير مما كان يلزمهم به ملوك الفرس من ضرائب متعددة .

ولا تمثل عملية اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب حركة تمرد قومى ولا تعبير عن شعور عام من الإيرانيين ، ولا تعدو أن تكون عملاً فردياً صدر عن نفس حاقدة ، حتى لو افترضنا أن خلفها فرداً أو عدداً قليلاً من المحرضين .

وقد أفاد الإيرانيون الذين اعتنقوا الإسلام من الامتيازات التى يتمتع بها العرب ، فأعفوا من الجزية والالتزامات المالية - الا فى بعض الأحوال الاستثنائية التى لا تمثل الاتجاه العام ، والى سنشير إليها فى مواضعها - وأشركوا فى الفتوحات والعطاء ، ونالوا

نصيلاً من المغانم ، كما أنهم احتفظوا بمناصبهم في الإدارة المحلية
وشئون الجباية ، وظل كثير من دهاقينهم ومرازبتهم في مراكزهم
القيادية .

وأفاد الإيرانيون من اتجاه العرب إلى النشاط الحربي والحياة
العسكرية ، وانصرافهم عن الزراعة والصناعات ، فبقيت الأرض الزراعية
في أيديهم يقومون على فلاحتها والإفادة من خيرها مقابل الخراج
الذي وضعه الإسلام على الأرض المفتوحة ، وكان الأصل أن توزع
الأرض المفتوحة عنوة على المقاتلين مثل الغنائم ، ولكن اجتهد
عمر بن الخطاب ونظرته إلى مصلحة الدولة ، والحرص على دخل ثابت
لبيت المال ، والاحتفاظ بنصيب للأجيال القادمة ، والرغبة في تأليف
قلوب الأمم المفتوحة ، جعله يوقف الأرض المفتوحة بعلاجها للمسلمين
عامة ، ويضع عليها الخراج (١) ، وقد ارتضى المسلمون هذا الاجتهاد
ولم يفكروا في تغييره بعد ذلك ، مما يدل على تسامحهم ، وحرصهم
على الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع غيرهم من الشعوب التي شاركهم في
الإسلام .

وقد اعتبر العرب هؤلاء الموالى الذين دخلوا في الإسلام أخوة
لهم في الدين ، ولم يقبلوا أن يسترقوهم أو يعتبروهم أسرى حرب
بل منوا عليهم بالحرية ، وأوصلوا إليهم دعوة الإسلام فأخرجوهم
من ظلام الشرك إلى نور الإيمان ، وألحقوهم بقبائلهم ، وأحسنوا

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج - دار المعرفة في بيروت - ص ٢٨

معاملتهم ، وأسموهم بالموالى من الولاء والارتباط ، وقد عدَّ صاحب العقد الفريد (١) الامتيازات التى أعطاهها العرب للموالى فقال إنها العتاقة ، والإحسان إليهم ، واستنقاذهم من الكفر ، وإخراجهم من دار الشرك إلى الإيمان ، والتعرض للقتل فيهم ، أى الدفاع عنهم حتى بذل أرواحهم فى سبيل حمايتهم .

ونضيف إلى ذلك أن إلحاق الموالى بقبائل العرب ، يدل على سماحة العرب ، وقبولهم أن يندمج معهم هولاء الموالى ، ويشاركوهم فى أنسابهم وهى أغلى ما يعتز به العربى فى ذلك الوقت ، وبذلك اكتسب الموالى حقاً آخر وهو المشاركة فى الجهاد والغزو مع القبائل التى التحقوا بها ، وكان إقبال الموالى شديداً على هذا الالتحاق وأبدوا إخلاصاً كبيراً فى انتمائهم للقبائل التى ألحقوا بها ، وشاركوا فى نصرتها والدفاع عنها كأبنائها ، كما أنهم أقبلوا على التشبُّه بالعرب والتسمى بأسمائهم .

ولا يُعدُّ الولاء منقصة ، أو خطأً من القدر الاجتماعى ، بل يعطى صاحبة شرفاً لا يقل عن شرف النسب ، يقول ابن خلدون (٢) :

"إن الشرف بالأصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصبية ، فإذا اصطنع أهل العصبية قوماً من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالى ، والتحموا بهم - كما قلناه - ضرب معهم أولئك الموالى والمصطنعون بنسبهم فى تلك العصبية ، ولبسوا جلدتها كأنها عصبيتهم ، وحصل لهم من الانتظام فى العصبية مساهمة فى نسبها ، كما قال صلى

(١) ابن عبد ربة ٤١٢/٣ (٢) مقدمه ابن خلدون ، الجزء الأول من كتاب العبر - ط بيروت - دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٨٣ - ص ٣٣٧

الله عليه وسلم : " مولى القوم منهم " ، وسواء أكان مولى رقى أو مولى
أصطناع وحلف .

ولو كان فى الولاء مهانة وتحقير ما أقبل عليه الإيرانيون هذا
الإقبال ، وما تركوا قراهم وأرضهم ليلتحقوا بالقبائل العربية فى
الكوفة والبصرة وخراسان ، ومناطق الثغور ، ولكن الولاء كان يفتح
أمامهم أبواب الجندية والمشاركة فى الجهاد ، وهى فى ذلك
الوقت طريق المجد والشرف والكسب المادى .

وكان الأعاجم يسعون إلى هذا الولاء ، ويختارون بأنفسهم
فى كثير من الأحيان - القبائل التى يرتضون الالتحاق بها ، ومنهم
سكان السواحل الجنوبية فى إيران ، فى مكران وكرمان وفارس ، وهم
عدة طوائف منها الأساورة والزط والسيابجة ، ورحل الأساورة إلى
البصرة وعلى رأسهم زعيمهم شيروية الأسوارى ، وسألوا عن أى أحياء
البصرة أقرب نسباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل لهم
بنو تميم ، فدخلوا فى ولاء أحد بطونهم وهم بنو سعد ، وأما
الزط والسيابجة فدخلوا فى ولاء بطن آخر من تميم هم بنو حنظلة (١)
وقد استعانت تميم بمواليها هؤلاء فى صراعهم ضد الأزدي ، وعبد
الأحنف بن قيس جماعة من الأساورة لمؤازرة ضدهم (٢)

لقد وجد الفريقان - عرباً وإيرانيين - فى الولاء الذى كان معروفاً
عند العرب منذ الجاهلية ، بداية حسنة لعلاقات اجتماعية ، وحلاً

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ٣٦٦
(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف - القسم الثانى من الجزء الرابع
ص ١١٢

لمشكلة اختلاف العناصر المسلمة التي تعيش في أرض واحدة ، وكان الموالى مثل العرب يحترمون هذه الرابطة ، ويفون بالتزاماتها — ولم نسمح أبداً أن موالى قبيلة قد انشقوا عليها ، ونبذوا ولاءها ، أو رأوا فيه منقصة يجب أن يتخلصوا منها ، وكان حيان النبطي^(١) وهو من الديلم ، وزعيم الموالى في خراسان ، وأحد كبار القادة في الجيش الخراساني - برغم شدة أنفة واعتزازه بنفسه ونفوره من التبعية يفخر أنه مولى مصقلنة من بني شيبان ، وعندما كان يكتب الى ابن الوالى مخلد بن يزيد بن المهلب يصر على أن يبدأ بنفسه ويقول : من حيان مولى مصقلنة إلى مخلد بن يزيد^(٢) .

وإذا كانت السيادة في أيدي العرب ، بمعنى أنهم احتفظوا بالمناصب العالية والمراكز القيادية الأولى ، فإن الوضع الطبيعي في أى نظام أن أصحاب السبق والبلاء فيه يصبحون في المرتبة الأولى ، وبهذا المقياس كانت قريش مقدمة عند العرب ، وكان المهاجرون والأنصار أصحاب المنزلة الرفيعة في الإسلام ، وبقى العرب في الصدور الأولى من الإسلام يتقدمون الأمم الأخرى حد يشهده العهد بالإسلام ، حتى تتمرس به وترسخ أقدامها فيه ، ولكن العرب لم يوصدوا دونهم الأبواب ، ولم يحولوا دون مشاركتهم في القيادة ومساواتهم بالعرب ، وفي الفترات التي وقع فيها بعض الظلم بهؤلاء

(١) سيأتى ذكره في مواضع أخرى أكثر تفصيلا .

(٢) الطبسرى ٨ / ١٢٤ .

الموالى ، كان العرب أشد حماساً منهم فى الدفاع عنهم ، ومطالبة
الإدارة الأموية برفع المظالم عنهم ، كما سنرى فى حديثنا عن
حركات المعارضة فى فصل تال .

ولم يحل العرب دون مشاركة الموالى فى الجهاد والفتح ،
بل حاربوا معهم جنباً إلى جنب ، وأشركوهم معهم فى كل الأحداث
حتى فى حركات المعارضة والثورات التى قامت ضد الأمويين .

التمازج الاجتماعى بين العرب والموالى :

لم تمنع حياة العرب العسكرية وارتباطهم بالحصون ومناطق
الشغور من الاختلاط بالإيرانيين ، وكان لكثير منهم أرض وإقطاعات
وأهل فى القرى الإيرانية ، وتزوج الكثير منهم من نساء فارسيات ،
وتشبهوا بالفرس فى كثير من عاداتهم وأعيادهم وزيهم ، وساعد
الولاء على الالتحام الاجتماعى والتمازج بينهم .

وتوثقت اللحمة وزادت الوشيجة مع تعاقب الأجيال ، وظهرت
أجيال جديدة من المولدين الذين شاركوا فى الحياة السياسية
والثقافية بصورة واضحة .

وإذا كان هناك متعصبون من العرب فواضح أنهم قلة ولذلك
أفرد لهم ابن عبد ربه باباً أسماه " باب المتعصبين من العرب " ،
وفى المقابل نجد أيضاً فريقاً متعصباً من الفرس ، كانوا يعتبرون
أنفسهم أبناء الأحرار ، ويعتبرون العرب أبناء الإماء لأنهم
من نسل هاجر أم أسماعيل عليها السلام ، وكانوا يقدرون فى

صحة أنساب العرب ويشككون في نقائها (١) .

ولكن هذا التعصب لا يمثل القاعدة العامة في العلاقة بين العرب والایرانیین ، كما أنه يخف حدة في المناطق التي يتعايش فيها الفريقان جنباً الى جنب مثل الكوفة والبصرة ، ويتضاءل حتى يكاد يتلاشى في المناطق الايرانية التي يمثل الفرس غالبية سكانها

ولذلك نجد عرب خراسان أكثر تعاطفاً مع الإیرانیین ، وأكثر اهتماماً بالدفاع عنهم ، وعندما أبدى معاوية رغبة في التخلص من بعض الايرانيين الذين يكثرون في البصرة ، ويسمون الحمراء خوفاً من وشتهم على السلطان ، قال له زعيم تميم الأحنف بن قيس :
" أرى نفسي لا تطيب بقتل أخى لأمي وخالي ومولاى ، وقد شاركناهم وشاركونا في النسب" (٢) ، وما زال به حتى صرفه عن هذا الرأي ، ووضح من قوله مدى التمازج الاجتماعي حتى صار منهم الأخ لأم والخال و اتصلت الأنساب بالمصاهرة والولاء .

وظهرت آثار التمازج والمخالطة الاجتماعية في كثير من القادة العرب مثل عبید الله بن زياد الذي تزوجت أمه مرجانه - وكانت جارية - من قوم من الفرس المستقرين في البصرة يسمون الأساورة (٣) فنشأ بينهم ، وظهر تأثير هذه النشأة في لهجته فكان يتحدث بلكنة فارسية (٤)

(١) ابن عبد ربه ٤٠٩ / ٣ ، ٤١٢ ،

(٢) ابن عبد ربه ٤١٣ / ٣

(٣) سبقت الإشارة اليهم .

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - الطبعة

الرابعة في بيروت - ح ١ ص ٧٢ ، ٧٣

وكان قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان قد أنجب من أم ولد فارسية تسمى " عبهر " وعندما توفي رثاه الشاعر عبد الرحمن الباهلي بقوله : (١)

فما رزىء الإسلام بعد محمد بمثل أبي حفص (٢) فبكيه عبهرا
وكان كثير من سادة العرب وزعمائهم في البصرة يخالطهم الـدم
الفارسي ، ومنهم الحكم بن المنذر بن الجارود كان جده فارسياً
من جزيرة كاوان ، ثم هاجر إلى ساحل العرب فانتمى إلى عبد
القيس ، وأبو حاضر الأسدي كانت أمة أصطخرية ، وزباد بن عمرو
كان ينتمى إلى أهل كرمان ، وكان مصعب بن الزبير عند أستيلثة
على البصرة يعيرهم بهذا النسب (٣) .

وكانت زوجة نصر بن سيار آخر الولاة المؤيين في خراسان تدعى
المرزبانة بنت قديد (٤) ، وهذا الاسم يشير إلى أنها فارسية
أو على الأقل يدل على انتشار الأسماء الفارسية بين عرب خراسان.

وكان التمازج الاجتماعي يتزايد على مر الأيام ، وبالتالي كانت
نظرة العرب إلى الموالى تتطور إلى الأفضل ، فكان العرب ينتقصون
من شأن الهجين وهو الذى ينحدر من أب عربى وأم أعجمية ، ولذلك
كان بنو أمية فى بداية عهدهم لا يستخلفون أبناء الإماء ويقولون :
" لا تصلح لهم العرب " ، ولم يولوا مسلمة بن عبد الملك - رغم صفاته

(١) ابن الأثير ٤ / ١٤٣ (٢) كنية قتيبة بن مسلم .
(٣) البلاذرى : أنساب الأشراف - القسم الثانى من الجزء الرابع

العظيمه - لأن أمه أم ولد أعجميه (١) ، ولكن هذا الاتجاه أخذ يتلاشى ، ولم يكن الدم الفارسي مانعاً من استخلاف يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ هـ ، وأمه شاه فرند بنت فيروز بن يزد جرد بن شهریار بن كسرى ، وهى تتصل أيضاً بالنسب إلى قياصرة الروم وخاقانات الترك وكان هذا النسب المتعدد مشار فخر الخليفة إذ يقول (٢)
أنا ابن كسرى وأبى مروان
وقيصر جدى وجدى خاقان
ومن مظاهر هذا التطور فى النظرة الاجتماعية للموالى إقبال بعض العرب على تزويج بناتهم من الموالى ، وقد ذكر ابن عبد ربّه أن رجلاً من عبد القيس فى منطقة البحرين استضاف مولى يسمى أحمد ابن عبد العزيز ، فأبدى رغبته فى تزويجه مع علمه أنه مولى .

وكان المتعصبون من العرب لا يكونون الموالى بالكنى التى تعتبر دليلاً تقديراً واحتراماً ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب (٤) ، ولكن المساواة كانت تفرض نفسها مع الزمن ، ونجد مسلمة بن عبد الملك وهو من بيت الخلافة - يوقر حيان النبطى القائد الديلمى ويكنىه بأبى سليمان (٥)

وكان العرب يصرون أن تخطب بنات موالىهم عن طريقهم ، فلا يتقدم الخاطب إلى أبيها ولا أخيها ، وإنما يتقدم إلى موالىها فإذا رضوا زوج ، وإلا رد (٦)

-
- (١) ابن عبد ربّه ٤١٦/٣
(٢) الطبرى ٤٦/٩ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣
(٣) العقد الفريد ٤٠٨/٣ ، ١٣٤/٦ ، ١٣٥
(٤) ابن الأثير ١٧٠/٤
(٥) ابن عبد ربّه ٤١٣/٣
(٦) ابن عبد ربّه ٤١٢

ويرى البعض أن هذا الأمر فيه احتقار وانتقاص من قدر الموالى ، ولكنه فى حقيقة الأمر يدل على شعور العرب بالمسئولية نحو مواليتهم وما داموا قبلوا أن شركوهم فى أنسابهم فمن حقهم أن يقولوا رأيهم فى الخاطب الذى سيرتبط بهم عن طريق المصاهرة .

ويرى البعض أن العرب كانوا يحقرون الموالى الذين يشتركون معهم فى القتال فلا يسمحون لهم بركوب الدواب ، ولا يقاتلون الا مترجلين ، ولم نجد فى المصادر التى رجعنا إليها ما يمكن أن يفهم منه حمل الموالى على الترجل إلا ماورد على لسان أشرف الكوفية الذين سخطوا على المختار بن أبى عبيد الثقفى تقريبه للموالى واعتماده عليهم فقالوا : " لقد أدنى موالينا حملهم على الدواب وأعطاهم فيئنا " (١)

وهذا القول لا يدل بالقطع على أنهم كانوا قبل المختار يحاربون مترجلين ، وأنه أول من حملهم على الدواب ، وإنما هو تعبير بلاغى يدخل فى باب الكناية ، ويقصد به أنه أخذهم جنداً ، وجعل منهم جيشه ، والترجل عند العرب لا يعتبر عارا ، لأن كثيرا منهم كانوا يحاربون مترجلين ، ويعدون ذلك ماثار فخر ودليل شجاعة ، فإذا حماى الوطيس عقروا خيولهم وحاربوا مترجلين (٢)

(١) الطبرى ٦٦ / ٧ ابن الاثير ٣ / ٣٦٥ (وبين المصدرين اختلاف يسير فى العبارة) ، وسنعرض لقضية حرمان الموالى من العطاء بعد قليل . (٢) ذكر ابن الاثير (٢٣٢ / ٤) أن عشرين الفا من الخوارج بقيادة بهلول بن بشر عقروا دوابهم ، وترجلوا فقاتلوا قتالا شديدا .

وهذا الاتهام الذى حاول البعض أن يلصقه بالعصر الاموى كان من سمات العهد الساسانى السابق للاسلام ، وكان أهل القسرى والحراث يشكلون فرقة المشاة فى الجيش الفارسى ويحاربون بلا أجر ولا عطاء. (١)

ونال كثير من الموالى مكانة عظيمة فى المجتمع الجديد تزدانى مكانة أمثالهم من العرب ورعى العرب أقدار كبارهم ، وأنزلوهم المنازل الثلاثة بهم ، منذ العهد الاول للفتح ، فقد عفا عمر بن الخطاب عن الهرمزان أمير تستر الذى وقع أسيراً فى أيدي المسلمين سنة ١٧ هـ ، وأنزله المدينة بعد إسلامه وفرض له ألفين (٢) وأبقى العرب كثيراً من الدهاقين والمرازمة فى مناصبهم ، مثل دهاقين بلخ الذين كانوا يرافقون قتيبة بن مسلم فى فتوحاته (٣) ومرزبان مرو الذى كان من رجاله المقربين (٤) ودهقان هراة الذى كان خصيصاً بأسد بن عبد الله القسرى يشير عليه ، ويؤاكله ويمارحاه (٥) ومن أصحاب المنزلة الرفيعة فى البصرة فيروز حصين ، وهو من سبى سجستان (٦) ، وكان يُنسب إلى سيده حصين بن أبى الحرب بن مالك العنبرى ، وكان معاصراً للحجاج بن يوسف ، وقال

(١) محمود شيت خطاب : قادة الفتح فى بلاد فارس ص ٤٧

(٢) ابن الأثير ٢ / ٣٨٥ ، وأنظر الخراج لأبى يوسف ٣٢

(٣) الطبرى ٥٩

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٤٣

(٥) ابن الأثير ٤ / ٢٣٤

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ٣٨٧

عنه ابن قتيبة إنه أعظم مولى بالعراق قدراً ، وقد ولى الولايات^(١) وبلغ من مكانته في البصرة أن جواره كان يُشترى بالمال ، وكان له جار من بني دارم عرض داره للبيع فقال :
" أبيعها بعشرة آلاف درهم ، خمسة آلاف ثمنها ، وخمسة آلاف لجوار فيروز ، فبلغ ذلك فيروز فأكبره وقال له : أمسك عليك دارك وأعطاه عشرة آلاف درهم من عنده (٢) .

وممن احتفظوا بمكانة اجتماعية عظيمة طوائف الأساورة والسوط والسيابجة سكان السواحل الجنوبية من إيران ، فقد اتصلوا بالمسلمين منذ عهد الفتح الأول وحصلوا لأنفسهم على أمان بشروط طيبة وافق عليها قائد المسلمين أبو موسى الأشعري وصدق عليها الخليفة عمر بن الخطاب ، فسمح لهم أن ينزلوا ما يشاءون من البلدان ، وألحقوا بشرف العطاء ، وحفر لهم نهر في البصرة سمي بنهر الأساورة ، ويقال إن الوالي عبد الله بن عامر حفره لهم^(٣) وبقوا على ذلك حتى عهد الحجاج ، فأسقطهم من العطاء لشاركتهم في الفتن التي وقعت بين العرب مما يعتبر نقضا لعهدهم ، على ما سنذكر .

وكان كثير من الموالى يصرون على معاملة العرب معاملة الأنداد ولو كانوا من الولاة والأمراء ، فكان حيان النبطي يبدأ بذكر

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٤٣

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ٣٤٧

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ٣٦٦

نفسه في مكاتباته لابن الوالى خالد بن يزيد بن المهلب، مما أحفظ
الوالى عليه فأغرمه مبلغا من المال، ولم يقبل أن يسخر منه العباس
ابن الوليد بن عبد الملك للكنة الفارسية، حين قال له إنك
بالنبطية أعلم منك بالحرب، ورد عليه قائلا : " أنبط الله وجهك
أشقر أحمر، ليس إليه طابع الخلافة"، ووصفه بالحمق، ولم
يهدأ حتى أسترضاه مسلما بن عبد الملك وطيب خاطره قائلا :
" يا أبا سليمان لا يهولنك كلام العباس" (١)

وظهرت آثار التلاحم الاجتماعى فى اللغة واللهجة، فأصبحت
الفارسية لغة تعامل فى أسواق الكوفة والبصرة اللتين أقبل عليهما
الموالى بأعداد كبيرة وأستقروا فيها^(٢)، وكان العرب يستخدمون فى
حدوهم الكلمات والعبارات الفارسية، فكان قتيبة بن مسلم يقول
فى مجال الفخر بنفسه : إن أبى كان أشر بان، و أبا يزيد
(ابن المهلب) كان بستان بان " يقصد أن أباه كان صاحب إبل
دليل على تأصله فى العروبة، وأن أبا يزيد كان صاحب بستان وهى
من خصائص الفرس. (٣)

وكانت اللغة الفارسية هى السائدة فى جيش المختار بن أبى
عبيد الذى يمثل الموالى سواده الأعظم (٤) كما كانت غالبية فى جيش
أبى مسلم الخراسانى .

(١) كبن الأشير ٤ / ١٧٠

(٢) ولها وزن ٤٦٧

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٨٢

(٤) الينورى : الأخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر - مكتبة
المثنى فى بغداد - طبعة بالآؤس - ص ٣٩٥

ولم يكن هناك عوائق تحول دون تقدم الموالى فى مجال التجارة والمال ، وتكوين الثروات الضخمة ، ومنهم أبو جهير الخراسانى ، كان يعمل فى التجارة وبخاصة بيع الدواب فى خراسان ، وكان لـه (١) شركاء فى الأهواز والمدائن ، وكان الحجاج بن يوسف يشتري منه وكان كثير من الفرس ينزحون من الثرى إلى المدن للعمل فى الصناعة والتجارة (٢) ، وإن كان الحجاج قد وضع قيوداً على هذه الهجرة إلا أن هذه القيود لم تستمر طويلاً من بعده .

وتعاطف كثير من العرب مع الموالى ، وتحمسوا لمطالبهم ، وكانوا يبكون لما حل بهم من مظالم الحجاج ، وبخاصة قراء البصرة (٣) وانهازوا إلى ثورة ابن الأشعث من أجلهم .

الدولة الأموية والموالى :

صور فريق من المؤرخين وفى مقدمتهم فان فلوتن (٤) ويوليوس فلهاوزن (٥) العصر الأموى على أنه عصر السيادة العربية ، وتسلبت العرب على العناصر الأخرى ، كما صوروا هذا العصر على أنه عصر المظالم بالنسبة للموالى ، وأنهم كانوا محرومين من معظم الحقوق والامتيازات التى يتمتع بها العرب ، ويئون تحت وطأة أوضاع

(١) الجاحظ ١ / ١٦١ (٢) نبيه عاقل ٢٨٢

(٣) ابن عبد ربه ٣ / ٤٠٩ ، ٤١٢ ،

(٤) فى كتابه السيادة العربية والاسرائليات فى عهد بنى أمية

(٥) فى كتابه تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهايتها الدولة الأموية .

اقتصادية سيئة ، والتزامات مالية مجحفة .

كما صوروا الدولة الأموية على أنها دولة دينوية لا يعنيتها كثيراً الالتزام بمبادئ الإسلام التي تؤكد المساواة والعدالة بين أبناء الدين الواحد ، ولم يُسمح للموالى بالمشاركة السياسية والقيادية إلا في العصر العباسي الذي برزت فيه عناصر وقوميات أخرى غير العرب ،

وحاولوا أن يصوروا أيضاً أن هناك تحالف مصلحة بين الإدارة العربية والطبقة البرجوازية من الدهاقين والإقطاعيين الإيرانيين الذين حرصوا على الاحتفاظ بمكاسبهم عن طريق خدمة الإدارة العربية على حساب عامة أبناء جنسهم المطحونين ، وهو تصور لا يعكس روح العصر الذي وقعت فيه الأحداث ، وإنما ينظر إليه من خلال منظور حديث يحاول تفسير التاريخ على أنه صراع بين الطبقات .

وقد ناقش بعض هذه الآراء وفندها بعض المحدثين مثل المستشرق ليفي دلا فبدا^(١) الذي رفض رأى فلهاوزن في أن أمر الدين كان ثانوياً في محاولة الأمويين التمكين من سلطانهم ، وأكد أن انتصار الحركة العربية في عهدهم إنما تم تحت لواء الدين كما جاء به القرآن الكريم ، وقال : " إن خلفاء بني أمية كانوا يؤمنون في قرارة نفوسهم أن انتشار الدين ونمو سلطانهم السياسي صنوان

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة بني أمية ح ١ ص ٦٦٦ وما بعدهما .

لا يفترقان" ، وأنه " من المبالغه أن ندعى على بنى العباس أنهم صبغوا العالم الإسلامى بالصبغة الفارسية ، فالحقيقة أن أسسـرة الخلافة بقيت عربية ، وظل ولا ة الأقاليم وقواد الجيش يُختارون من العرب مدة تقرب من قرن" ، ثم يبين الكاتب أن صبغ الإسلام بالصبغة الدولية ، بمعنى أن العرب لم يعودوا هم العنصر الوحيد الفعال فى تنظيم الدولة وترقية المدنية قد بدأ قبل العباسيين ، فى العصر الأموى عندما سوت إصلاحات عمر بن عبد العزيز بين العرب والموالى^(١).

كما ناقش أستاذنا الدكتور أحمد شلبى^(٢) كثيرا من الأفكار الشائعة عن العصر الأموى ، وبيّن حقيقة الأمر فيها ، ثم قال : " لقد اتهموا الأمويين بأنهم حكام عرب وليسوا حكاماً مسلمين ، واستدلوا على ذلك بأنهم اضطدوا الموالى ، والعجيب أنه وجد بين المؤرخين الأوربيين من جذبه هذا الرأى مثل ولهاوزن الألمانى ، ولكن هذا الاتهام لا يقوى أمام النقد البرىء ، وأمام الدراسة العميقة " .

لم يكن من المستطاع أن يتبوا الموالى مكانتهم فى الصفوف الأولى منذ اليوم الأول ، ولا يمكن أن يتسلموا زمام القيادة بمجرد إسلامهم ، ولكن الباب لم يكن موصدا دون تقدمهم ، وشهد العصر الأموى كثيراً من التفاعلات والصراعات شارك فيها العرب كما شارك فيها الموالى

(١) المرجع السابق ٦٦٧

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلاميه : الجزء الثانى :

الدولة الأموية - الطبعة الرابعة - ص ١٩

وأصحاب الفرق المختلفة ، من خوارج وشيعة ، وكل فئة تحاول أن توجه المسار لصالحها ، وتمسك بالزمام .

وكانت سياسة الدولة الأموية تجاه الموالى تتطور إلى الأفضل باستمرار ، وكان تيار المساواة يفرض نفسه وينتصر على الاتجاه المتشدد الذى لا يرى إلا مصلحة الدولة ، ويتجاهل كثيراً من المبادئ الإسلامية وكان الموالى يغذون هذا التيار بكثرة عددهم وتزايد إقبالهم على الإسلام ، حتى أصبحوا قوة لها وزنها ، ولا يمكن تجاهلها أو هضم حقوقها .

وكان الموقف المتشدد الذى سلكته الإدارة الأموية فى عهد الحجاج له أسبابه ودوافعه ، فقد أقبل الموالى على المدن ، وتدفعوا على الكوفة والبصرة بأعداد كبيرة وأصبحوا يشكلون الغالبية من سكانهما ، وتركوا قراهم وأرضهم مهددة بالبوار والخراب ، مما سبب تناقص الخراج بدرجة كبيرة ، وهو المورد الأكبر الذى تعتمد عليه ميزانية الدولة واقتصادها .

كما أن كثيراً من هؤلاء الموالى النازحين اتجهوا إلى الجندية والمشاركة فى النشاط العسكرى مع القبائل التى التحقوا بها ، وكان من السهل استقطابهم إلى حركات المعارضة ، والثورات التى تهدد أمن الدولة وسلطانها ، وظهر ذلك فى انضمامهم بأعداد كبيرة إلى ثورتى المختار بن أبى عبيد وابن الأشعث (١)

(١) سنتحدث عنهما فى فصل تال .

وأراد الحجاج أن يحفظ للدولة أمنها الاقتصادي والعسكري وبخاصة بعد أن رأى الموالي يشكلون الجمهور الأكبر والسواد الأعظم في ثورة ابن الأشعث التي كادت أن تطيح به وبالعرش الأموي فأصدر قراره بحرمانهم من الجندية وإسقاط أسمائهم من ديوان الجند وردهم إلى أرضهم وقراهم، وقال لهم: " أنتم علوج وعجم وقراكم أولي بكم " ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب، وسيرهم كيف شاء. (١)

وكان مسلك الحجاج المتشدد ينظر إلى مصلحة الدولة وحدها ولم يستطع الموازنة بينها وبين رعاية حقوق الموالي التي اكتسبوها بدخولهم في الإسلام مما أثار عليه حفيظه كثير من العرب أنفسهم وبخاصة القراء والفقهاء.

ولكن الدولة الأموية لم تستمر على هذا الأسلوب العنيف، وحاولت إرضاء الموالي حتى لا يكونوا في جانب المعارضة ضدها، واتجهت منذ عهد سليمان إلى الموازنة بين المصلح والمثل وتخلصت من رجال الحجاج وأساليبيهم العنيفة إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فقدّم المبادئ على كل اعتبار، وحقق الموالي في عهده مكاسب عديدة، وأمر عمر بإعفاء من أسلم من الالتزامات المالية من خراج وجزية دون قيد أو شرط، وقال: لا خراج على من أسلم من أهل الأرض.

(١) ابن عبد ربة ٣ / ٤١٦

وواجه عمر مشكلة تناقص الأرض الخراجية بإسلام أصحابها ، وأوالتخلص منها ببيعها للمسلمين حتى تصبح أرضاً عُشرية ، فأصدر قراراً باعتبار سنة مائة من الهجرة سنة فاصلة ، لا يجوز بعدها بيع الأرض الخراجية ، وأن من اشترى شيئاً منها بعد سنة مائة فإن بيعه مردود ، ولذلك سماها المسلمون سنة المدة ،^(١) وبذلك أرضى الموالى ، وحافظ أيضاً على المورد الرئيسى لبيت المال وهو الأرض الخراجية .

واهتم عمر بن عبد العزيز بشئون الإيرانيين بصفة خاصة ، وعمل على تحسين أوضاعهم ، والاستجابة إلى مطالبهم ، باعتبار بلدهم ثغراً ، ومركزاً لحركات المعارضة المتعددة ، وكتب إلى عامل الخراج فى خراسان : " ليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إلى ، ولا أعظم عندى من ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه فى غير ظلم ، فإن يك كفافاً لأعطياتهم ، فسبيل ذلك ، وإلا فاكتب إلئى حتى أحمل لك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم " ، ووجد العامل أن الخراج يفضل عن العطاء ، فأمره عمر أن يقسمه فى أهل الحاجة^(٢) .

واهتم عمر بشكاوى الإيرانيين ورفع المظالم عنهم ، وجاءه واحد منهم مع وفد خراسان يدعى أبا الصيداء صالح بن طريف (أوطريق فى بعض المصادر) من موالى بنى ضبة ، وعبر عن مطالب قومه فى إعفاء من أسلم من الجزية ، وفرض نصيب لهم من العطاء ، فقال

(١) أنظر نبيه عاقل ٢٨٤ .

(٢) نبيه عاقل ٢٩١ .

له عمر : "أحر بمثلك أن يوفد"، وكتب إلى عامله في خراسان : انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية . (١)

ولم تقتصر إصلاحات عمر على المسلمين ، بل شملت أهل الذممة أيضا ، فكتب إلى والى خراسان : " لا تضرب مؤمناً ، ولا معاهدًا سوطاً إلا في الحق ، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" (٢) ، ومنع عماله أن يأخذوا ما يزيد عن الخراج من هدايا النيروز والمهرجان وما يقدم للعمال ، وأمرهم ألا يحملوا خراباً على عامر ، ولا على مرأى خراب .

ولم يفقد الموالي الإيرانيون مكاسبهم التي حصلوا عليها في عهد عمر بن عبد العزيز ، ويبدو أن أوضاعهم استقرت منذ ذلك الوقت أما الشكوى التي ظهرت بعد ذلك فقد صدرت عن جماعات أخرى من الموالي هم أتراك ما وراء النهر و تركستان .

وقد تابع يزيد بن الوليد هذا الاتجاه الاصلاحى فألزم نفسه ألا يأخذ من خراج أى بلد إلا ما فضل عن حاجته ، ولا يرهق الرعايا بالاعباء المالية فقال : " لا أحمل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عمن بلادهم وأقطع نسلهم ، ولكم عندى أعطياتكم فى كل سنة ، وأرزاقكم فى كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كادناهم" (٣)

(١) الطبرى ٨ / ١٣٤

(٢) ابن الأثير ٤ / ١٥٨

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ١٤٢

وكان كثير من الولاة يلتزمون بحسن السيرة مع الإيرانيين مثل قتيبة بن مسلم الذي عفا عن أهل بلخ الذين انتقضوا عليه سنة ٨٦ هـ، وأمر بعد انتصاره عليهم برد السبي إليهم.

ومنهم عامل الأهواز الذي استعمله عبد الله بن عامر، ولم يكن معه عند عزله سوى مائة درهم، فلما سأله ابن عامر عن سبب ذلك قال: "أرسلتني إلى بلد أهله رجلان رجل مسلم له مالى، وعليه ما على ورجل له زمة الله ورسوله فوالله ما دريت أين أضع يدي"، فأعطاه من عنده عشرين ألفاً.^(١)

ومن القضايا التي تثار عن موقف الدولة الأموية من الموالى قضية استخدامهم فى الجيوش المقاتلة دون أن يفرض لهم عطاء مثل العرب.

ولكننا نجد هذا الاتهام لا يصدق على كل فترات العصر الأموى، فقد بدأت الدولة فى الصدر الأول من عهدتها بإدراج الموالى فى ديوان العطاء، وكانوا يسمون "الحمراء"، وأول من فرض لهم معاوية بن أبى سفيان، وكان عددهم بالكوفة وحدها حوالى عشرين ألفاً.^(٢)

كما التزمت الدولة باستمرار العطاء الذى فرضه عمر بن الخطاب لبعض الجماعات التي تعاونت مع الفاتحين المسلمين، وأثبتته لهم فى عهده معهم وهم الأساورة والزط والسيابجة والاندغار^(٣).

(١) الطبرى ٦٠ / ٧ (٢) الدينورى : الاخبار الطوال ٢٢٨

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ٣٦٦

ولكن كثيرًا من هؤلاء الموالى لم يلتزموا بطاعة الدولة وعهودهم معها ، وهددوا أمنها بانضمامهم إلى ثورة ابن الأشعث ، ومشاركتهم فى الفتن والاضطرابات التى تقع بين العرب بعضهم البعض ، وكان فى عهدهم أن يكونوا بمنأى عنها ، ولذا أمر الحجاج بإسقاطهم من ديوان العطاء^(١) وقال لمن له عهد منهم : كان فى شرطكم ألا تعينوا بعضنا على بعض^(٢) .

وكان كثير من الموالى بعد ذلك يحاربون مع العرب فى مناطق الثغور ، ولكنهم لم يكونوا من القوات الرئيسيه التى تتمتع بالعطاء مقابل احترافها للجندية وتفرغها لها ، بل كانوا بمثابة القوات الاحتياطية والمتطوعة ، وكانوا يقاتلون مع جند القبائل التى التحقوا بها ، يدل على ذلك وصف ابن الأثير^(٣) للجيش الذى كان يحارب فى طبرستان تحت لواء يزيد بن المهلب إذ قال : " فسار إليها فى مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان ، سوى الموالى والمتطوعة فتعداد القوات الأساسية مائة ألف ، والباقون فى حكم القوات الاحتياطية ، ولذلك كان نصيبهم مقصورًا على جزء من الغنائم دون العطاء فى أغلب الأحيان .

ولكن الموالى ظلوا يطالبون بتغيير هذا الوضع واعتبارهم جنودًا أساسيين كالعرب ، ولقيت هذه المطالب استجابة من الخليفة العادل

(١) ابن عبد ربه ٣ / ٤١٦

(٢) فتوح البلدان ٣٦٧

(٣) الكامل ٤ / ١٤٧

عمر بن عبد العزيز كما سبق أن ذكرنا .

ولو كانت معاملة المحاربين من الموالى سيئة كما يصورها
البعض، لما أقبلوا على الاشتراك مع العرب بهذه الأعداد الكبيرة
ولفضلوا الانصراف إلى عمل آخر، وما قبلوا أن يتركوا قراهم وأرضهم،
ويبدلوا دماءهم وأرواحهم، دون مقابل .

الفصل الثالث

مشاركة الايرانيين في الإدارة الأموية

فى الولاية والحكم:

احتفظ كثير من الإيرانيين بمراكزهم القيادية ومناصبهم السياسية والإدارية فى ظل الحكم الإسلامى ، وبخاصة من اعتنق الإسلام منهم وأصبح من موالى العرب واخوتهم فى الدين ، وأبدى استعداداه للطاعة والإخلاص لنظام الحكم الأموى القائم .

وكان اعتناق الإسلام يفتح طريق المساواة والتقدم إلى الصفوف الأمامية أمام أبناء البلاد المفتوحة ، ويجعلهم أهلاً للثقة فيهم والاعتماد عليهم فى القيادة والإدارة .

وكان والى العام بطبيعة الحال من العرب الذين فتحوا هذه البلاد وكانوا أرسخ قدمًا وأكثر بلاءً فى سبيل الإسلام ، ولكن الموالى كانوا يشاركون فى الولايات الخاصة ، كالولاية على بعض الأقاليم أو البلدان التى تتكون منها الولاية ، أو الإشراف على الأمن وحماية الطرق ، ولم يكن من أهداف السياسة الأموية ولا من خططها إبعاد الموالى وإقصائهم عن المشاركة فى هذه المناصب القيادية .

وقد حرص العرب على الإفادة من أهل البلاد المفتوحة وبخاصة المناطق الإيرانية فى شئون الإدارة المحلية وأمور الجباية والخراج ، لأنهم أكثر خبرة وعلمًا بطبيعة بلادهم وأهلها ، فأبقوا كثيرًا من المرازبة فى إمارته على المدن ، كما أبقوا كثيرًا من الدهاقين على الخراج وكان كثير منهم مقربين للولاية العرب ، فكان مرزبان مرو يرافق قتيبة بن مسلم (١) ، وكان دهقان هراة خصيصًا بأسد بن عبد الله القسرى

(تولى سنة ١٠٦ هـ) وكان الوالى يبدى إعجابه به ويمازحه ويقول له : " أنت خير دهاقين خراسان^(١) " مما يشير إلى أن هناك كثيراً من أمثاله ممن يشاركون فى الإدارة الأموية .

وأبقى الأمويون كل من تعاون معهم من الأمراء الإيرانيين فى ولاياتهم مثل فيروز قول مرزبان جرجان والاصبهيد حاكم طبرستان اللذين صالحا الوالى يزيد بن المهلب وتعاونوا معه فى فتح بلاد الديلم^(٢) ، وصاغان خدادة أمير الصغانيان ، وكان بحكم موقع بلاده على نهر جيحون يتعاون مع المسلمين ويشاركونهم فى فتوحات ما وراء النهر^(٣) .

وهناك مجموعة أخرى من الأمراء الإيرانيين الذين احتفظوا بولاياتهم فى ظل الحكم الأموى منهم " ترسل " دهقان فارياب ،^(٤) و " سهراب " ملك الطالقان^(٥) ، و " قرياس " دهقان مرو^(٦) .

وهناك كثيرون من أمثالهم أشارت إليهم المصادر دون أن تزودنا بأسمائهم مثل دهاقين بلخ وعظمائها الذين تعاونوا مع قتيبة بن مسلم فى فتوحاته سنة ٨٦ هـ^(٧) ، ودهاقين الجوزجان الذين انضموا

-
- (١) الطبرى ٢٤٧ / ٨ ، ٢٤٨ ،
(٢) الطبرى ٨٢ / ٨ (٣) الطبرى ٨٢ / ٨ ، ابن الاثير ٢٢٦ / ٤
(٣) مدينه مشهوره بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ ، غربي جيحون (ياقوت : معجم البلدان ٢٢٩ / ٤)
(٤) أكبر مدينه فى طخارستان قرب نهر جيحون (ياقوت ٦ / ٤)
(٥) الطبرى ٢٢٠ / ٨ (٦) الطبرى ٥٩ / ٨
(٧) ابن الاثير ٢١٨ / ٤

إلى ثورة الحارث بن سريج سنة ١١٦ هـ (١)

ومن الشخصيات الإيرانية التي فتح لها الإسلام طريق التقدم تحت الراية الأموية فيروز حصين الذي سبق أن ذكرناه في الفصل السابق ، وقيل عنه إنه " ولى الولايات " ، ولكنه ما لبث أن فقد مكانته بسبب انضمامه إلى ثورة ابن الأشعث (٢) ، ومنهم حريث قطبة مولى خزاعة ، كان من رجال المهلب بن أبي صفرة ، وصار نائبه على كشس التي فتحها فيما وراء النهر سنة ٨٢ هـ (٣) ، والحجاج بن بشر بن فيروز الديلمي ، الذي ولاه المسلمون على دهلك بعد فتحها في عهد الوليد بن يزيد (٣) ، و " حميد " مولى الوالى نصر بن سيار ، وعامله على سكك نيسابور (٤) .

وهكذا شارك الإيرانيون بصورة واضحة في إدارة بلادهم ، وتعاون كثير منهم مع الولاة الأمويين ، كما شارك أيضا في إدارة المناطق الشغرية المجاورة لهم ، التي فُتحت أثناء العصر الأموي ، مثل السند وما وراء النهر ، وكان دورهم مقصورا على بعض الولايات الصغيرة أو المدن باعتبارهم نوابا عن والى خراسان الذي كان من العرب ، وهذا أمر طبيعي تفرضه الأوضاع السياسية في ذلك الوقت ، وأدعى إلى الالتزام الجميع بطاعته وبخاصة العناصر العربية المحاربة التي

(١) ابن الأثير ٢١٨ / ٤ (٢) الجاحظ ٤٣ / ٢ ، ١٤٧

(٣) ابن الأثير ٨٣ / ٤

(٤) الطبرى ٣ / ٩

كانت عماد القوة الأموية وركيزتها الأساسية في إيران ، ولم يصل
الإيرانيون إلى إمرة خراسان كلها إلا في العصر العباسي ، وكانت
الأسرة الطاهرية أول من حظى بهذا النجاح في عهد الخليفة
المأمون .

في الدواوين والجباية :

اتجه الخلفاء الأمويون منذ بداية عهدهم إلى الاستعانة بالموالي
على اختلاف أجناسهم فرساً وروماً ، وبالنصارى من أهل الشام (١) وكان
معاوية بن أبي سفيان أول من أصطنعهم وولاهم (٢) فكان كاتبه
وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي ، وقائد حرسه واحد من الموالي
يدعى المختار ، وقيل أبو المخارق مالك ، وكان طبيبه ابن إثنال
النصراني ، وولاه بعد ذلك على خراج حمص ، كما استعمل مولاه عبيد
الله بن دراج على خراج العراق (٣) وذكر ابن الأثير (٤) أحد
الموالي وهو فبروز الديلمي وقال إن " له صحة " ، وإن معاوية أستعلة
على صنعاء .

وكان من الطبيعي أن يستعين العرب بالموالي الذين كانوا
أكثر منهم خبرة وأطول باعاً في الإدارة والنظم ، وبخاصة أن العرب

(١) انظر قائمة كتاب أبي أمية الذين ذكرهم ابن عبد ربه ١٦٥ / ٤

١٧٠ ، والطبري ١٩٨ / ٧ ، وفيهم كثير من الموالي والذميين .

(٢) الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية - دار

النهضة العربية في بيروت - ص ٦٧٥

(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٥

(٤) الكامل ٢٤٦ / ٣

بعد الفتح ورثوا بلاداً متحضرة ، ونظماً سياسية وإدارية متقدمة لم يكن لهم عهد بها وقد احتفظ العرب ببعض هذه النظم ، واقتبسوا بعضها الآخر وطوروه بما يتلاءم مع حياتهم مثل الدواوين وجباية الخراج ، ولذلك استعان الفاتحون الأوائل بأبناء هذه البلاد ، وأخذ عمر بن الخطاب بمشورة رجل من الفرس يدعى الفيرزان ، وتمكن العرب في الصدر الأول من جعل ديوان الجند في الكوفة والبصرة بالعربية ، أما ديوان المال فلم يستطيعوا تعريبه حتى عهد عبد الملك بن مروان ^(١) .

وكان هذا الوضع يقتضى الاستعانة بكتاب من الفرس لهم دراية وعلم بهذه الدواوين ، ومعرفة باللغة التى كتبت بها منذ العهد الساسانى ، وفى ذلك يقول الوالى زياد بن أبيه : " ينبغى أن يكون كتاب الخراج من روءساء الأعاجم العالمين بأمر الخراج " (٢) .

وفى أمور الجباية وجمع الخراج فضل العرب الاعتماد على الدهاقين الذين كانوا يقومون على هذا الأمر منذ القدم ، ورأوا أنهم أكثر قدرة عليه ، كما أنهم أيسر من العمال العرب فى محاسبتهم ومطالبتهم ، وأهيب لهم ، لأن العربى يحتمى فى قبيلته ويمتنع فى عصبية القوية ، فلا يستطيع الوالى أن ينال منه إذا أخطأ أو أستحوذ على شئ من المال لنفسه ، وفى ذلك يقول عبيد الله

(١) الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٠ ، السيد عبد العزيز سالم

تاريخ الدولة العربية ص ٦٧٧

(٢) اليعقوبى : ٢٣٤

ابن زياد: " كنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج فأقدمت عليه أوغرت صدر عشيرته ، أو أغضته فحملت على عطاء قومه أضرت بهم وإن تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه ، فوجدت الدهاقين أبصر .
بالجباية وأوفى بالآمانه ، وأهون على مطالبة" (١)

وكان زياد بن أبيه يستخدم على الخراج زادا نفروخ ،^(٢) وجعل مولاة مراداس كاتباً له ، كما استخدم ابنه عبد الرحمن بن زياد كاتباً من العجم يسمى اسطفانوس^(٣)

وكان العمال الأمويون يفضلون الاعتماد على العناصر المحلية الإيرانية فيما يتعلق بالجباية لأن القائم عليها يتعرض لسخط العامة وغضبهم ، وبذلك يبقون هم بمنأى عن هذا السخط ، ولذا نصح عمر بن هبيرة والى العراق نائبه على خراسان مسلم بن سعيد الكلابي^(٤) فقال له : " تختار من كل كورة لعملك ، فإن أصابوا فالذى أردت ، وإن أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب" (٥)

وكان الفرس بدورهم يتكتلون للاحتفاظ بهذا الجانب الإدارى فى أيديهم ، ويحرصون على احتكاره ، وامتلاك أسرارهم ، وإبعاد العرب عن المشاركة فيه حتى لا يغلبوهم عليه ، وكان يتزعمهم فى الصنند رالاول زادن فروخ ، ثم خلفه جميل بن بصهرى ، وكان - كما وصفته المصادر - حازماً مقدماً .

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف - القسم الثانى من الجزء الرابع - طبعة بغداد - ص ٣ (٢) فى بعض المصادر " زادان فروخ" .

(٣) الجهشيارى ١٦ ، ١٨ .

(٤) تولى عمر بن هبيرة العراق سنة ١٠٢ ، وعين مسلم بن سعيد

نائباً عنه فى خراسان سنة ١٠٤ هـ (٥) ابن عبد ربه ١٩ / ١

وعند ما قدم الحجاج واليا على العراق توجس هؤلاء الكتاب شرًا ،
وتخوفوا على نفوذهم ، فاجتمعوا إلى رئيسهم جميل بن بصري ،
وعرضوا عليه مخاوفهم ، فدعاهم إلى الوحدة والترابط وعدم التقرب
إلى الإدارة العربية على حساب بعضهم البعض ، وقال لهم : " ما
أحسن حالكم إذا لم تبتلوا معه بكاتب منكم " وضرب لهم المثل
المشهور : " إن فأسا ألقيت بين شجر ، فقال بعض الشجر لبعض
: ما ألقى هذا هاهنا لخير ، فقالت لهم شجرة : إن لم يدخل
في هذا شيء منكم فلا تخفته " (١)

ولم يكن هؤلاء الكتاب الإيرانيون يقومون بأعمال الجباية
فحسب ، بل كان من سلطتهم مراقبة السياسة المالية للدولة ورفع
تقرير عنها إلى الخلافة ، وكان زادانفروخ بالتعاون مع عبد الرحمن
بن أبي بكر يراقبان تصرفات الوالي عبيد الله بن زياد ، ويبلغا نها
إلى الخليفة يزيد بن معاوية ، مع بيان بموارد الإقليم ومقادير
خواجه ، وكان من نتيجة ذلك أن حاسبت الخلافة ، وخيرته بين الضمان
والعزل ، فاختر الضمان ، وأدى ما انكسر من المال (٢) .

ولم يكن العمال الأمويون يستطيعون أن يضبطوا أمور ولا ياتهم
ويحكموا جبايتها وخارجها دون مساعدة الدهاقين والتزود بمشورتهم
ورأيهم ، وبذلك أصبح الدهاقين ركنًا هامًا في بطانة الوالي ومساعديه
وعند ما تولى عبيد الله بن المحارب الفلوجتين (٣) من قبل الحجاج

(١) الجهشيارى ٢٤ (٢) الجهشيارى ١٠٩

(٣) الفلوجة هي الأرض المصلحة للزرع ، والفلوجتان هما الفلوجه
الكبرى والفلوجه الصغرى ، قريتان كبيرتان من سواد بغداد
والكوفة قرب عين التمر ، وتسميان أيضا بالفلوجة العليا والفلوجة

السفلى (يا قوت ٤ / ٢٧٥)

كان أول ما سأل عنه حين وصلها : " أهنا دهقان يعا ش برأية ؟ " ف قيل له : جميل بن بصهرى ، فاستدعاه وسأله المشورة ، فقال له : أقدمتَ لرضى ربك أم لرضى من قلذك أم لرضى نفسك ؟ فقال : ما استشرتكم إلا لرضى الجميع . فقال له : احفظ عني خلا لا : لا يختلف حلمك على رعيتك وليكن حلمك على الشريف والوضيع سواء ، ولا تتخذن حاجباً يرد عليك الوارد من أهل عملك على ثقة من الوصول إليك ، وأطلل الجلوس لأهل عملك يتهيبك عمالك ، ولا تقبل الهدية ، فإن صاحبها لا يرضى بثلاثين ضعفا لها ، فإذا فعلت ، فاسلخ جلودهم من قرونهم إلى أقدامهم " قال ابن المحارب : " فعلت بنصيحتة فجببتهما ثمانية عشر ألف ألف درهم " (١)

وكان زادا نفروخ على علاقة طيبة بقيادة العرب ، فكان ذا مكانة ورأى لــــــدى الحجاج بن يوسف ، كما كان صديقا للمهلب ابن ابى صفرة واستعان به المهلب ليسعى له لدى الحجاج حتى يوليه خراسان بدلا من عبيد الله بن أبى بكر ، فلما كلم الحجاج فى ذلك قال : إنا كتبنا عهده ، فقال زادا نفروخ : ما أهون تحويل العهد ، فاستجاب له الحجاج وحوله . (٢)

وكان دهقان هراة يتعاون مع أسد بن عبد الله القسوى ، ويحمل له الخراج وهدايا النيروز والمهرجان ، ويمتدحه قائلا : إنا معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمئة سنة بالحلم والعقل والوقار وكان الرجال فينا ثلاثة ، رجل ميمون النقية أينما توجه فتح الله عليه ، ورجل

تمت مروءته فى بيته ، ورجل رحب صدره وبسط يده ، وقد جعل الله صفات هوءلاء فىك فما يُعلم من هو أتم كتحدا ئية منك .^(١)

وقد ظهرت أسر فارسية توارثت مثل هذه المناصب الإدارية ومنهم عبد الله بن هرمز وأبناؤه ، وهو مولى عبينه" ، ويعد من موالى آل أبى سفيان بن حرب ، كان على ديوان الجند بالعراق زمن الحجاج ، ثم خلفه عليه أبناؤه ، " وكان قدرهم فى البصرة عظيماً ولهم يسار" ، وكان احتكارهم لهذا المنصب يثير حفيظة بعض العرب ، فهاجمهم أحد شعرائهم بقوله :^(٢)

أعوذ بالله الأحد من هرمز وما ولد

وكان لابد لكل من أراد أن يحكم العراق وإيران أن يعتمد على هوءلاء الدهاقين وخبرتهم ، سواء من بنى أمية أم من القوى الأخرى التى نافستهم ، فكان مصعب بن الزبير أيضاً يستعين بواحد منهم يسمى سارازاد صاحب باذين ، وأوكل اليه أمر الخراج .^(٣)

حركة التعريب فى إيران :

اتجهت الدولة الأموية فى عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) إلى التعريب أجهزتها الإدارية ، وتحويل الدواوين إلى اللغة العربية ، وكان هذا الاتجاه ضرورياً ليتفق مع نظام الدولة الإسلامية وقيادتها العربية ، ولا يجعلها خاضعة لقلّة من المحتكرين الذين

(١) ابن الأثير ٤ / ٢٣٤ ، والتخدا هو نائب الأمير .

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف ٤ / ١٢٣ (٣) الجهشيارى ٢٧

قد يستئون التصرف ولا يلتزمون بالامانة اعتمادا على جهل المسؤولين بلغة هذه الدواوين .

وقد أسندت الدولة الإشراف على عملية التعريب في المناطق الشرقية للحجاج بن يوسف ، وكان فيها ديوانان باللغة الفارسية أحد هما في العراق والثاني في خراسان ، وتمكن الحجاج من تعريب ديوان العراق في عهده ، أما ديوان خراسان فقد بقي بالفارسية حتى ولاية نصر بن سيار في أواخر العهد الأموي .

واضطلع بمسئولية التنفيذ بعض الموالى الإيرانيين الذين كان لهم إلمام باللغتين العربية والفارسية ، وكان لهم فضل المبادرة بعرض القيام بهذا الأمر على الولاة الأمويين .

وتصدى لتعريب ديوان العراق صالح بن عبد الرحمن ، كان أبوه من سبى سجستان ، ثم أصبح من موالى تميم ، ثم توثقت الصلة بينه وبين الحجاج عن طريق زادانفروخ بن بيري ، وأصبح أثيراً لدينه^(١) ، وهو الذى عرض عليه فكرة تعريب ديوان العراق وقال : " إني لو شئت حولته بالعربية " (٢)

وقد واجه المحتكرون لهذا الديوان صالحاً بالسخرية والتحدى وقالوا له : " فحول منه سطرأ " ، فقبل التحدى ، وأكب على عمله

(١) ابن حلكان : وفيات الأعيان ٢٩٧ / ٦ ، البلاذرى : فتوح البلدان

بكفاءة وثقة ، " فحول منه شيئاً كثيراً " وعندئذ خاب ظن هؤلاء ، وقال لهم رئيسهم زادانفروخ : " التمسوا لكم مسكناً غير هذا " ، وكان ذلك فى سنة ثمان وسبعين من الهجرة .

ولم يقتصر دور صالح على هذا التعريب ، بل قام بتدريب مجموعة من تلاميذه على أعمال الكتابة والدواوين ، فكان صاحب مدرسة إدارية " وكان عامة كتاب العراق من تلاميذه " (١) وقال عنه عبد الحميد بن يحيى الكاتب : " لله در صالح ، ما أعظم منته على الكتاب " (٢) .

وظل الإيرانيون مسيطرين على ديوان خراسان ، ولم يكونوا جميعاً من المسلمين ، بل كان فيهم عدد من المجوس الذين عاملهم المسلمون كأهل ذمة ، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أراد أن يلتزم فى مجال الإدارة بقوله تعالى : " لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم ، ولا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض " فكتب إلى عماله : " لا تولين أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم ، فتتسبط عليهم أيديهم وألسنتهم ، فتذلمهم بعد أن أعزهم الله " .

ولكن الالتزام الكامل بهذه السياسة التى أمر بها عمر لم يكتمل فى خراسان إلا فى وقت متأخر ، إذ يقول الجهشيارى : " وكان أكثر

(١) المصدر السابق ونفس الصفحة

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ٢٩٨

كتاب خراسان إذ ذلك مجوسا ، وكانت الحسابات بالفارسيه ،
فكتب يوسف بن عمر ، وكان يتقلد العراق إلى نصر بن سيار (والى
خراسان) كتاباً أنفذه مع رجل يعرف بسليمان الطيار يأمره أن لا
يستعين بأحد من أهل الشرك في أعماله وكتابه ^(١) .

وما لبث نصر أن جد في استكمال عملية التعريب التي بدأت في
عهد الحجاج ، واهتم بتعريب آخر معاقل الإدارة الفارسية وهو
ديوان خراسان ، وأسند هذا العمل إلى رجل من بني نهشل
يسمى إسحاق بن طليق ^(٢) .

وهكذا أسهم الموالى بنصيب وافر في عملية التعريب إلى جانب
العرب ، ولم تكن هذه العملية تهدف إلى إقصائهم واستئصال
نفوذهم ، بل تنظر إلى المصلحة العامة للدولة ، وتسعى للتخلص
من نفوذ الذميين والمجوس التزاماً بمبدأ إسلامي ، ولذلك أخلص
الموالى المسلمون جهودهم في هذا العمل ، ولم يقبل صالح بن
عبد الرحمن الأموال الطائلة التي بذلت له ليتراجع عن هذا العمل .

وبرغم التعريب فقد ظلت الحاجة ماسة إلى الإيرانيين وبخاصة
المسلمون منهم في هذا المجال ، حتى أواخر العهد الأموي ، ويؤكد
ذلك أن خالداً القسري أرسل أحد عماله إلى الري ، ففهم خطأ
أن الأمير ولاءه على الخراج ، فلما وصلها قال له عامل الخراج الفارسي
: " إنك أعرابي مجنون ، فإن الأمير لم يول الخراج عربياً قط ، وإنما

هو عامل المعونه" ، فلما راجع الرجل أمر توليته وجد أنه على المعونه فقط (١) .

فى السفاره والتفاوض :

اعتمدت الإدارة الأتوية فى إيران على الموالى بدرجة أساسيه فى كثير من الاتصالات السياسية ، كالسفارة ، والتفاوض ، وإبرام المعاهدات ، وعقد المصالحات ، داخل المناطق الإيرانية وفى مناطق الشغور المجاورة ، وساعد الموالى على الاضطلاع بهذه الأمور معرفتهم بهذه المناطق وإلمامهم بلغة أهلها ، وطبائعهم ، وأفضل الوسائل التى تصلح لإقناعهم من أساليب الخطاب ، ووسائل التعامل من ترغيب أو ترهيب ، ومسالمة أو مجالدة ، ولذا كان العرب يتخيرون الموالى ويقدمونهم لهذه المهام ، وبخاصة بعد أن أثبت التجارب أنهم على قدر كبير من الحنكة والدراية فى هذا المجال .

فى ميدان ما وراء النهر استخدم قتيبة بن مسلم الباهلى رسلاً من الموالى الإيرانيين منهم سليم الناصح ، ولعل هذا اللقب كان مكتسباً من شهرته التى أتصف بها فى مجال المشورة والتفاوض ، وهو مولى لعبيد الله بن أبى بكرة ، وأرسله فى سنة ٨٧ هـ رسولا إلى صاحب باذغيس (٢) من بلاد الترك المسمى نيزك طرخان ، وكان ممتنعاً على المسلمين ، رافضاً الصلح معهم ، فاستطاع هذا المولى

(١) الطبرى ٨ / ٢٨١ .

(٢) بفتح الذال وكسر الغين المعجمة ، قيل انها كانت دار مملكته الهياطله (ما وراء النهر) وهى ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ (ياقوت ١ / ٣١٨) .

أن يقنعه بأهمية التفاهم مع المسلمين والدخول في عهدهم ، ويزيل من نفسه الأثر السيء الذى تركته كتب قتية بن مسلم عندما توغده أن يطلبه حتى يظفر به أو يموت دونه .

وكان الأمير التركى فى البداية نافرًا مستعصيًا فقال لسليم الناصح : " ما أظن عند صاحبك خيرا ، كتب إلى كتابا لا يكتب إلى مثلى ، لكن سليما استطاع أن يستل ضغيثته ، ويزيل حفيظته ، فقال له : " إنه رجل شديد فى سلطانه ، سهل إذا سوهل ، صعب إذا عوسر ، فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك ، فما أحسن حالك عنده ، وعند جميع مضر " .

وأتت هذه السفارة أكلها ، وقدم نيزك طرخان مع سليم على قتية ابن مسلم فصالحه ، وفتح له أبواب باذغيس .^(١)

وواصل قتية سياسته الناجحة فى إيفاد الموالى إلى ملوك الترك وأمرء ماوراء النهر ، فعندما طلب طرخون التركى إيفاد رجل من المسلمين يتحدث إليه ، أرسل إليه قتية قائد فرقة الموالى فى جيشه حيان النبطى^(٢) وهو من الديلم ، فاستطاع أن يقنعه بالصلح على^(٣) جزية يؤدبها كل سنة

وعندما تولى أشرس بن عبد الله مهمة استمرار الفتح فى ماوراء النهر

(١) الطبرى ٦١ / ٨

(٢) سبق الحديث عنه ، وسنذكره بتفصيل أكثر فى الفصل التالى

(٣) الطبرى ٦٩ / ٨ ، ابن الأثير ١١٤ / ٤

أرسل وفداً لدعوة أهل سمرقند في سنة ١١٠ هـ، وأختار لرئاسته رجلاً من الموالى مشهوداً له بالتقى والصلاح هو أبو الصيداء صالح ابن طريف، مولى بنى ضبة، فنجح في مهمته أيما نجاح، وأقبل الناس على الإسلام وبنوا المساجد^(١)، ولكن الموالى مالبت أن أفسد هذا النجاح لأنه لم يف بما وعد به، وأصر على أخذ الجزية ممن أسلموا منهم، فأدى ذلك إلى ثورتهم كما سيرد في موضعه.

وفي منطقة جرجان وطبرستان شمالي إيران كان الموالى يوءدون نفس الدور وأوفد يزيد بن المهلب إلى الديلم رجلاً ينتمى إليهم هو حيان النبطى المذكور في سنة ٩٧ هـ، واستطاع حيان أن يضع حداً لخسائر المسلمين العسكرية التي تكبدوها في المنطقة عندما تكتل ضدهم سكانها، وشكلوا جبهة واحدة ضدهم، ويسر لحيان مهمة التفاهم معهم ارتباطه بهم بأصرة الدم الديلمى، وما أبداه من قدرة كبيرة على فهم دخائلهم، والوصول إلى أعماقهم.

وبدأ حيان مهمته بالعمل على اكتساب ثقة الأصهبذ حاكم طبرستان وقومه فقال لهم: إنما أنا رجل منكم، وإن كان الدين قد فرق بينى وبينكم، فأنا لكم ناصح، واتجه للأصهبذ بالخطاب قائلاً: "فأنت أحب إليّ من يزيد".

ثم اتجه حيان إلى كسر غرورهم وثقتهم التي اكتسبوها من انتصاراتهم المبدئية على المسلمين، فهوّن من شأن هذه الانتصارات

(١) ابن الأثير ٢٠٢ / ٤

(٢) الطبرى ١٢٣ / ٨ ، ابن الأثير ١٤٨ / ٤

وحذرهم سوء العاقبة فقال : " قد بعث (يزيد بن المهلب) يستمد ، وأمداده قريبة منه ، وانما أصابوا منه طرفا ، ولست آمن أن يأتيك من لا تقوم له ، فأرح نفسك وصالحه " .

ثم سعى لإفساد التحالف بين حاكم طبرستان وبنى جنسه من أهل جرجان فقال له : " فإن صالحته صيرّ حده على أهل جرجان بغد رهم وقتلهم أصحابه " .

وكانت نتيجة السفارة أن وافق الصبيهد على الصلح ، ودفع جزية قدرها سبعمائة ألف ، وقيل خمسمائة ألف وأربعمائة ، غير الأشياء العينية الأخرى ، والتزامه بالتعاون العسكى مع المسلمين ^(١) .

ولم يكن استخدام الموالي في مجال السفارة مقصوراً على إبعادهم لغير العرب ، وانما كانوا يوفّدون أيضا بين القادة المسلمين بعضهم البعض ، فكان الوالى أسد بن عبد الله القسرى يستخدم سعيدا الصغير مولى باهلة ، وهو من الفرسان المشهورين في أرض الختل رسولا إلى قائده إبراهيم بن عاصم العقيلي ^(٢) ، وكان الوالى نصر ابن سيار يستخدم مقاتل بن حيان النبطي إلى الحارث بن سريج الثائر على الحكم الأموي .

(١) الطبرى ١٢٣ / ٨ ، ابن الاثير ١٤٨ / ٤

(٢) ابن الاثير ٢٢٧ / ٤

(٣) الطبرى ٤٢ / ٩

الفصل الرابع

مشاركة الإبرانيين في النشاط العسكري والفرعيات

الإيرانيون في الجيش الأموي الخراساني :

اهتم الأمويون بجيوشهم في خراسان ، وزودوها بأسباب القوة لأنها كانت ركيزة وجودهم في المنطقة ، ومنطلق فتوحاتهم في شغرى الهند وما وراء النهر .

وكانت القوات الرئيسية التي تمثل عماد هذا الجيش وصلبها من القبائل العربية التي استوطنت أقاليم إيران ، وكانت لها روافد تغذيها باستمرار من عرب الكوفة والبصرة . وكان تجنيد العراقيين في الجيش الخراساني إجبارياً في بعض الفترات ، للتخلص من كثرة مشاكلهم واضطراباتهم ، والاستعانة بهم في تحقيق المزيد من الانتصارات والفتوحات ، وكان الحجاج بن يوسف لا يسمح لأحد بالتخلف عن الجندية حتى أشرف العرب والقرشيين ، وبلغ عدد المجندين من الكوفة وحدها حوالي خمسين ألفاً ، وكان يقول : (١) " لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلا رجلاً قد وليناه من أعمالنا

وكانت الإمدادات العراقية تدعم الجيش الخراساني وتزيد من قوته في المواقع الصعبة ، واللحظات الحاسمة ، وعندما حوصر المسلمون في بخارى سنة ١١٢ هـ ، أمدت الخلافة قائدهم الجنيد بجيش من أهل الكوفة والبصرة يضم عشرين ألفاً . (٢)

والى جوار العراقيين كانت هناك قوات إضافية أو احتياطية من أهل الشام تصل للنجدة والمعاونة ، ومواجهة حركات التمرد ضد الخلافة وعمالها ، لأنهم كانوا أكثر إخلاصاً وأوفر طاعةً للمؤمنين ، ولكن هذه القوات لم يكن يسمح لها بالبقاء بصفة دائمة ، واستيطان العراق أو إيران ، خوفاً عليها من التأثير بروح الشغب والفتنة التي كانت موجودة بين قبائل العرب هناك ، وعندما احتاج الحجاج لبقاء هؤلاء الشاميين فترة طويلة في العراق بنى لهم مدينة خاصة بهم وهى مدينة واسط ليكونوا بمعزل عن سواهم ، وقد برز دور الشاميين فى الفتوحات الكبيرة التى تتطلب جهداً وعدداً مثل فتح جرجان وطبرستان فى ولاية يزيد بن المهلب ، وفى مواجهة الثورات القوية كثورة عبد الرحمن بن الأشعث .

وكان العنصر الثالث الذى تتكون منه هذه الجيوش هو الموالى الايرانيين ، الذين كانوا يدخلون فى تشكيل لقوات الرئيسيه ، ويمثلون أيضاً الجانب الأكبر من القوات الاحتياطية .

وكان للإيرانيين فرقة كاملة من بين الفرق الأساسية التى يتكون منها الجيش الخراسانى يقدر عددها بسبعة آلاف جندي ، ولا يعد هذا الرقم ضئيلاً إذا ما قارناه بعدد الفرق التى أسهمت بها القبائل العربية ، فإن قوات أكبر قبيلتين عربيتين فى منطقه وهما تميم والازد لم يكن يتجاوز عشرة آلاف لكل منهما ، وقوات أهل العالية (وهم أهل المدينة الذين يتكونون من عدة قبائل) تبلغ تسعة آلاف ، ولكل من بكر ، وأهل الكوفة سبعة آلاف ، وهو عدد مساوٍ لجند الموالى ، أما عبد القيس فلم يكن لهافى هذا الجيش

سوى أربعة آلاف ، وبذلك يكون مجموع القوات الرئيسية في الجيش
الأموي الخراساني بما فيه الموالي الإيرانيون أربعة وخمسين ألفاً^(١).

وكان على رأسى الفرقة الإيرانية قائد منها هو حيان النبطي
الديلمي ، وهو في الأصل من سكان منطقة الجبال الموجودة حول
بحر قزوين^(٢) . ويدل على ذلك قوله - الذي سبق أن ذكرناه في
الفصل السابق - لأهل جرجان وطبرستان : " إنما أنا رجل منكم
وإن كان الدين قد فرق بيني وبينكم " ، وهناك رأى آخر يرى أنه من
خراسان ، وهو في كلا الرأيين إيراني ، وإنما سمي نبطيا للكنية
الغريبة على أسماء العرب عندما يتحدث بلغتهم ، وكان مولى لمصلحة
الشياني من أوائل الفاتحين لطبرستان^(٣) ، والتحق ببني شيان
وأصبح من مواليهم^(٤)

وكان حيان وجنده الإيراني مخلصين لدينهم ، ملتزمين بطاعة
بني أمية ، فشاركوا مع العرب في الفتوحات ، ومواجهة حركات التمرد
وتناسى حيان الإحن الشخصية والأحقاد التي كانت بينه وبين الموالي
يزيد بن المهلب عندما خوطب باسم الإسلام ، إذ قال له يزيد
بعد خسائره الكبيرة في فتح بلاد الديلم - " لا يمنعك ما كان مني
إليك عن نصيحة المسلمين ، وقد جاءنا عن جرجان ما جاءنا فاعمل في
الصلح " ، فقال " نعم " وقام بالسفارة لدى حاكم طبرستان حتى
تمكن من إقرار الصلح^(٥) كما وقف بعد ذلك في مواجهة قتيبة بن

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١٣٤ ، الطبري ٨ / ١٠٦ ، ابن الأثير

١٤٠ / ٤ (٢) كان يسمى بحر طبرستان وبحر الخزر .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ٣٣٠

(٤) الطبري ٨ / ١٠٦ ، ابن الأثير ١٤٠ / ٤

(٥) ابن الأثير ١٤٨ / ٤

مسلم عندما خلع طاعة الخليفة سليمان بن عبد الملك (١).

وأما فساد العلاقة بين حيان ويزيد بن المهلب فيرجع إلى اعتداد هذا القائد بنفسه ، فكان يبدأ بذكر اسمه في مكاتباته إلى ابن الوالي ، فنقم عليه يزيد وأغرمه مائتي ألف درهم (٢) .

وتوفي حيان سنة ١٠٢ هـ ، وقيل إنه مات مسموماً على يد الوالي سعيد خذينة خوفاً من وثبته عليه ، ولا نعتقد أن حيان كان يفكر في التمرد ، لأنه لم يصدر منه بادرة تشير إلى ذلك ، وكان طوال حياته يلتزم جانب الطاعة لبنى أمية ، وورث ابنه مقاتل هذا المسلك عنه ، وحافظ عليه ، لكن حيان تعرض لحقد أحد القادة العرب من تميم هو سورة بن الحر ، فأوغر صدر الوالي عليه ، وقال له : " إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والوالي ، وهو أفسد خراسان على قتيبة وهو واثب بك ، يفسد عليك خراسان " (٣) .

وإذا كان حيان قد لقي جزاء سنمار من الوالي وأعوانه ، فإن الخلافة الأموية رعت قدره ، وحفظت مكانته في عقبه ، وعندما وفد ابنه مقاتل بن حيان على الخليفة هشام بن عبد الملك شاكياً ما نزل بأبيه من الوالي يزيد بن المهلب ، لم يكلفه الخليفة بإحضار الشهود ، واكتفى بأن جعله يقسم على صحة قوله ، وأمر على الفور برد الأموال التي غرمها أبوه من بيت مال خراسان ، فتسلمها مقاتل وقسمها على ورثة أبيه (٤) .

(١) سيأتي الحديث عن الدور الذي قام به في هذا الشأن .

(٢) الطبري ١٢٣ / ٨ (٣) ابن الاثير ١٨٠ / ٤

(٤) ابن الاثير ٢٩٩ / ٤

وإلى جانب الفرقة الإيرانية ذات الآلاف السبعة التي يقودها
حيان ، كانت هناك قوات إيرانية أكثر عدداً في مناطق الثغور ولا
يمكن أن نتصور أن الإيرانيين كانوا يقفون بعيداً عن المشاركة في
هذه الجيوش التي تنطلق من بلادهم ، ويقفون منها موقف المتفرج
كما لا يمكن أن تهمل الإدارة الأموية هذه القوة ، ولا تسعى للإفادة
منها ، لأن الخلافة الأموية اتجهت في الميدان المغربي إلى الاعتماد
على البربر في فتوحات المغرب الأقصى والأندلس ، وكان السواد
الأعظم من الجيش الذي عبر مع طارق يتكون منهم ، وليس هناك ما
يدعو إلى مخالفة هذه القاعدة في فتوحات المشرق ، وبخاصة أن
أهل البلاد أكثر خبرة بدورهم وسالكها ، وأقدر على تحمل مشاق
الحرب فيها .

ويقال إن قتيبة بن مسلم قبل قيامه بالغزو في بلاد ما وراء النهر
سنة ٨٥ هـ عرض الجند الخراساني فكان عددهم ثلاثمائة وخمسين درعا^(١)
وهذا الرقم الكبير لا يمكن أن يكون كله من العرب ، لأن الجنود
العربي - كما ذكرته المصادر - لم يكن يتجاوز الخمسين ألفا .

وجرت القاعدة في ذلك الوقت على أن ينضم أمراء الفرس بجيوشهم
في المناطق القريبة من نهر جيحون إلى القوات الرئيسية عند
عبورها النهر ، وفي سنة ٨٦ هـ التحق دهاقين بلخ وعظماؤها
بجيش قتيبة بن مسلم ، وكان مستشاره وناصحه الأول من الموالي

(١) الطبري ١٣٤ / ٨ ، ابن الأثير ١٥٨ / ٤ .

يسمى سليما الناصح (١).

وفى سنة ١٠٩ هـ شارك أهل الصفانيان، وعلى رأسهم أميرهم صاغان خداه مع قوات الوالى أسد بن عبد الله القسرى فى الدفاع عن الثغور الإيرانية ضد هجمات الترك بقيادة ملكهم خاقان ، وكانوا يقومون على حماية أثقال المسلمين ، التى كانت هدفا لهجوم العدو، وعرضهم ذلك إلى تلقى الضربة الأولى التى هلك فيها أميرهم وعدد كبير منهم ، وكان إخوانهم من أهل الجوزجان يشكلون جانباً من ميمنة أسد ، وإلى جوارهم عرب الأزد وتميم ، وقد استطاعت هذه الميمنة أن تصمد فى مواجهة الترك بعد أن انكشفت المسيرة ، وتمكنت من تحويل الهزيمة إلى نصر ، وإجبار العدو على الفرار ، وفى الوقت الذى كان هوءلاء الإيرانيون يحاربون بإخلاص إلى جانب السـولاة الأمويين كان فريق من العرب الساخطين يقاتلون إلى جوار الترك^(٢).

وفى سنة ١٠٠ هـ بلغ عدد الموالى الذين يحاربون فى ميدان ماوراء النهر عشرين ألفاً ، وقد اكتفت المصادر بأن وصفتهم بالموالى دون أن تحدد عنصرهم ، وهل هم من الإيرانيين أم من الترك ، ولكن الملابسات تشير الى أنهم من الإيرانيين لأن الترك كانوا حتى ذلك الوقت يقاومون المسلمين ويرفضون الخضوع لهم ، ولم يبدأ إقبالهم على الإسلام الا بعد ذلك فى ولاية أشرس بن عبد الله الذى تولى

(١) الطبرى ٦١ / ٨ ، ابن الأثير ١٠٧ / ٤ .

(٢) ابن الأثير ٢٢٧ / ٤ ، ٢٢٨ .

سنة ١٠٩ هـ ، وقد طالب هؤلاء الموالى الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يعاملهم كالجنود الأساسيين ويفرض لهم نصيبا من العطاء فاستجاب لمطالبهم^(١) .

وشارك الموالى فى فتوحات جرجان وطبرستان سنة ٩٦ هـ ، مع الجيوش الرئيسية التى تتكون من عرب خراسان والعراق وأهل الشام والتى بلغ عددها مائة ألف ، إذ كان معهم أعداد أخرى من الموالى والمتطوعة^(٢) .

وكان الإيرانيون يُستخدمون أدلاء ومرشدين للجيوش الإسلامية فى مناطق الثغور لمعرفة خبراتهم وخبرتهم بمسالكها الوعرة ، فكان قائد المسلمين فيما وراء النهر عثمان بن الشخير يستعين بدليل من الجوزجان ، وقال له هذا الدليل : " إني أعلم ببلادى وطرقها فهل تتبعنى لعلنا نهلك خاقان ، قال نعم ، فأخذنا طريقا ، وسارا ومن معهما ، حتى أشرفوا على خاقان فأوقعوا به^(٣) .

فى تدبير الحرب والتخطيط العسكرى :

كان الإيرانيون ركيزة هامة يعتمد عليها القادة العرب فى التخطيط الحربى ، والإعداد للقتال ، لعلمهم وخبرتهم بمنطقتهم والثغور المتاخمة لها ، فكانت القيادة العربية تتزود برأيهم ومشورتهم ، وتضيف علمهم ودرايتهم الى خبرتها وتجاربها ، وقد

(١) الطبرى ٨ / ١٣٤ ، الطبرى ٨ / ١١٨ ، ابن الاثير ٤ / ١٤٧

(٣) ابن الاثير ٤ / ٢٢٨

اتبع المسلمون في ذلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما أخذ بمشورة سلمان الفارسي في غزوة الأحزاب، وأمر بحفر الخندق حول المدينة، وسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان يشاور الهرمزان بعد إسلامه في توجيه العساكر والجيش إلى أهل فارس ويقول: "إن لأهل فارس عقولا بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك (١)

وكان الموالي الإيرانيون يشكلون ركنا أساسيا في القيامة المدبرة التي تضع الخطط الحربية في المنطقة، وتحدد أساليب القتال، وهي ما يمكن أن نسميه بتعبيرنا الحديث "هيئة أركان الحرب" وأطلق عليها المؤرخون "لقد ما" أصحاب رأي الحرب في خراسان.

وكانت هذه الهيئة تضم فريقا من العرب منهم المجشر بن مزاحم وعبد الرحمن بن صبح الخرقى، وعبيد الله بن حبيب الهجرى، وكان أولهم يختص بتنظيم الجيوش "يُنزل الناس على راياتهم، ويضع المسالحي، ليس لأحد مثل رأيه في ذلك"، وثانيهم رجل الملمات والمواقف الصعبة "إذا نزل الأمر العظيم في الحرب، لم يكن لأحد مثل رأيه"، وثالثهم يختص "بتعبية القتال"، وإلى جوار هؤلاء فريق آخر من الإيرانيين قال عنهم الطبري (٢): "وكان رجال من الموالي مثل هؤلاء في الرأي والمشورة والعلم بالحرب"، وذكر منهم: الفضل ابن بسام مولى بنى لينث، وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بسام سليم، والبختري بن مجاهد مولى بنى شيان.

(١) ابن عبد ربه ١٢٥ / ٢، ١٧١ / ٢، أبو يوسف: كتاب الخراج ٣٢
(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢١٠ / ٨، ٢١١، ابن الأثير ٢١١ / ٤

وقد أثبتت الأحداث حسن رأى هؤلاء الموالى ، وكان القسادة العرب إذا حزبهم أمر لجئوا إلى مشورتهم ، فكانت توءى ثماراً طيبة فعندما أشد أمر الترك على جند المسلمين فيما وراء النهر سنة ١١٢ هـ وحاصروا فريقاً منهم فى بخارى ^(١) ، وقطعوا طريق الاتصال بينهم وبين القوات الرئيسية التى كانت موجودة فى سمرقند ^(٢) ، لجأ الجنيد قائد المسلمين الى عبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم وسأله النصيح والمشورة فاشتراط عليه أولاً ألا يخالفه الرأى فى ارتحال أو نزول أو قتال ، فوافق الجنيد على الفور ، مما يدل على ثقته الكبيره فى هذا المولى ، ثم قال له : " تخندق حيثما نزلت ، ولا يفوتك حمل الماء حتى ولو كنت على شاطئ نهر ، وأن تطيعنى فى نزولك وارتحالك " .

ثم بين له وجه الخطأ فيما اقترحه قادة آخرون فقال : " أما ما أشاروا عليك فى مقامك بسمرقند حتى يأتىك الغياث ، فالغياث يبطىء عنك ، وأما ما أشاروا من طريق كشى ونسف (وهو غير الطريق الرئيسى المعتاد) فإنك إن سرت بالناس فى غير الطرق فتتفى أعضاءهم ، وانكسروا من عدوهم ، واجترأ عليك خاقان (ملك الترك) وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له ، فإن أخذت غير الطريق بلغ أهل بخارى ما فعلت فيسلموا لعدوهم ، وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدو .

(١) بخارى بالضم سن أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها تقع على مسيرة يومين شمال نهر جيحون (ياقوت ٣٥٣٩١)

(٢) سمرقند بفتح أوله وثانيه ، هى قصبة إقليم الصغد من بلاد الترك بينها وبين بخارى مسيرة سبعة أيام ، ويقال لها بالعربييه سمران (ياقوت ٢٤٦ / ٤)

والتزم المجنيد بهذه المشورة ، وتابع رأى عبد الله ، فأحـرز انتصاراً كبيراً على الترك فى معركة مشهورة سميت " يوم الشعب " ، وتمكن من انقاذ بخارى ، وفك الحصار عنها ، ومما يدل على قيمة هذه المشورة وعظيم أثرها ما يروى عن هذا المولى بعد وفاته من أنه جاء ولده خالدًا فى المنام فقال له : " حَدِّثْ الناس عن رأى فى يوم الشعب " ، وكان الجنيد بمتدح هذا المولى ، ويبدى إعجابه به عندما قال عن ابنه خالد : " زبدة من الزبد " ، صنبور بن صنبور والصنبور الفريد الذى لأخ له ^(١)

فى الدفاع عن النفوذ الأموى :

الفكرة الشائعة لدى كثير من المؤرخين أن الإيرانيين كانوا متشبعين بروح السخط والعداء لنظام الحكم الأموى ، وأنهم كانوا يسعون لزلزلة بنيانه ، وتقويض أركانه ، لأنه كان يحول دون تحقيق مطالبهم فى المساواة بالعرب ، وأنهم كانوا يسارعون إلى الانضمام لكل ثورة أو حركة معارضة ترفع لواء العداء له .

وقد رأينا فيما سبق أن الموالى الإيرانيين حققوا كثيرا من المكاسب تحت الراية الأموية ، وشاركوا إدارتها فى خراسان ، وأسهموا فى جيوشها ، وإذا كانت حركات المعارضة قد نجحت فى اجتذاب بعضهم ، واكتساب تأييدهم ، فإن هذا لا ينسحب على مجموعهم فقد رأى فريق منهم مصلحته فى مناصرة بنى أمية وعمالهم ، والتعاون معهم فى التصدي للثائرين والمنشقين على حكمهم .

ومن المواقف التي برز فيها موقف هؤلاء الموالى الإيرانيين في معاضدة الحكم الأموي موقفهم من ثورة قتيبة بن مسلم الباهلي الذي تولى إمرة خراسان في بداية عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦ هـ ، وكان من الناحية الإدارية خاضعاً لسلطان الحجاج بن يوسف والى العراق .

استطاع قتيبة أن ييسط سلطانه وهيبته على خراسان وثغورها حتى قال عنه الاصبهذي حاكم طبرستان عندما سئل : أيهما كان أعظم عندكم وأهيب ، قتيبة أم يزيد بن المهلب ؟ فقال : " لو كان قتيبة بأقصى بحر في الغرب مكبلاً ، ويزيد معنا وال علينا لكان قتيبة أعظم في صدورنا وأهيب من يزيد " (١) .

وتمكن قتيبة من توطيد أقدامه في ثغر ماوراء النهر ، إذاهتم منذ الوهلة الأولى بإعلان الجهاد في هذا الميدان ، وتابع الغزو فيه باستمرار واستطاع أن يحقق انتصارات عظيمة ، ويفتح مدنًا كثيرة ، وأخضع إقليم الصفد (٢) ومدينه كاشغر (٣) ، حتى وصل الى مشارف الصين .

(١) ابن الاثير ٤ / ١٤٣ (٢) الصفد كورة من كور تركستان قصبتها سمرقند ، قيل هما صفدان ، صفد بخارى وصفد سمرقند ومن مدنها كشي ونسف ، وبعضهم يجعل بخارى أيضا من الصفد والصفد في الاصل اسم للوادي والنهر الذي تشرب منه هذه النواحي ، وهذا الوادي مبدؤه من البتم في بلاد الترك حتى الصفغانيان على نهر جيحون (ياقوت ٣ / ٤٠٩)
(٣) كاشغر بالتقاء الساكنين ، في وسط بلاد الترك ، وهي النسي أقصى الشرق من سمرقند (ياقوت ٤ / ٤٣٠)

وقد أخطأ قتيبة عندما تجاوز دوره الإدارى والعسكرى ، وزج بنفسه فى دروب السياسة ومزالقها ، وكان من المؤيدين للخليفة الوليد بن عبد الملك فى عزل أخيه سليمان من ولاية العهد ، وتقليدها ولده عبد العزيز بن الوليد ، ولكن الأمر لم يبلغ غايته وتوفى الوليد سنة ٩٦ هـ ، وتولى سليمان حاملا النقمة ونية الفتك بكل من تمالأ على عزله .

وأحس قتيبة بالريبة ناحية الخليفة الجديد ، فأراد أن يأخذ بزمام المبادرة وهو فى مستقر عزه ، ممتنع فى جنده ، قبل أن يؤخذ بغتة ، ويجرد من أسباب قوته ، فأعلن العصيان على الخليفة الجديد ، ودعا إلى خلعه .

وكان قتيبة يفتقر إلى العصبية القوية التى تنصره ، والقبيل الكبره التى تؤيده ، لأنه من باهلة الضعيفة القليلة العدد ، ولذا أراد قتيبة أن يوقظ فى الخراسانيين رابطته أخرى ، هى الرابطة الإقليمية التى تشمل العراق وإيران ، ويقويها الشعور بالعداء لأهل الشام الذين يرون أنهم سلبوهم السلطان والمكانة السياسيه فقال لهم : " حتى متى يتبطح أهل الشام بأفنيتم ، يا أهل خراسان انسبونى تجدونى عراقى الأم والأب ، عراقى المولد ، عراقى الهوى والرأى والدين ^(١) " .

كما أراد قتيبة أن يجمع الناس من حوله ، ويشيرهم ضد الخليفة الجديد بتفجير قضية اجتماعية ، وهى تفضيل الأغنياء على

الفقراء ، وذلك عندما شبه الخليفة سليمان بيزيد بن ثـروان
الملقب بهـنبقه القيسى ، وهو أحد النوكى المشهورين ، "كـان
يطعم ابـله السـمان ويهمل العجاف ، ويقول : أنا لا أصلح مـا
أفسد الله" ويقصد قتيبه بذلك أن الخليفة كان يعطى ويصطنع
أهل النعم واليسار ، ويهمل من سواهم (١)

ولكن قتيبة لم ينجح فى إيجاد التكتل الخراسانى الذى أرادـه
ومـيـجـد تجاوباً من العرب ولا الإبرانيين ، نظراً لطبيعة تكوين
جيشه الذى يعتمد على فرق من القبائل التى تحكمها العصبـيات
ولأن جنـده - عرباً وموالى - لم يجدوا فى ثورته إلا أسباباً شخصية
لا تقنعهم بالالتفاف حوله ، وتحدى الخلافة من أجله .

وأحس قتيبه باليأس من فريق العرب فقال لهم : " لا أعز الله
من نصرتـم ، والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتـم قرنـها ثم ذكرهم قبيله
قبله فذمهم وحقر من شأنهم (٢) ، وأراد قتيبه أن يعول على
فريق الموالى ، فقال فى حديثه للعرب : " والله لا أنا بمن معى من
العجم أعز منكم " (٣) ولكن أمله فيهم خاب أيضاً ، وقال لهم
رئيسهم حيان النبطى ، : " يا معشر العجم لم تقتلون أنفسكم لقتيـبه
الحسن بلائـه فيكم ؟ " (٤) ، وقال لهم أيضاً : " هوءلاء - يقصد

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ٤١٢

(٢) ابن الأثير ١٣٩ / ٤

(٣) اليعقوبى ٢٩٥ / ٢

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ٤١٣

العرب من أنصار قتيبه وأعدائه - يقاتلون على غير دين ، فدعوههم
يقتل بعضهم بعضاً" (١)

وكان موقف حيان العدائي من قتيبه له جذور قديمة ، حينما
نقم قتيبه على بعض رجاله ومنهم حيان ، وأمر بعد عودته من فتوح ما
وراء النهر الى مرو سنة ٩٣ هـ بضربهم وحلق رؤوسهم ، ويبدو أن سبب
ذلك ما أشاعوه في خراسان من أن قتيبه " غدر بأهل سمرقند فملكها
غدرًا" (٢)

ورأى حيان وجنده الايراني أن مصلحتهم في مناصرة بني أمية
والحزب المؤيد لهم من العرب وعلى رأسهم تميم ، وكان حيان العقل
المدير للتخلص من قتيبه ، حتى قال عنه بعض أنصار قتيبه : " ليس
يفسد أمر الناس الا حيان" ، وفكر قتيبه في اغتياله ، فأرسل فـي
أستدعائه ليتخلص منه ، لكن حيان لم يكن غافلاً ، وكان له عيون
ينقلون اليه ما يدبر ضده ، فتظاهر بالمرض ، ولم يلب النداء .

وأخذ حيان يبذل الجهد لجمع الرافضين لحركة قتيبه في جبهة
واحدة قوية ، ورأى أن هذا الأمر لن يتم إلا بالالتفاف حول شخصية
قوية تكون ندا لقتيه وتتمتع بالعصبية القوية ، فدعا الى مبايعة أحد
زعماء تميم وهو وكيع ، وتنصيبه واليا مكان قتيبه ، وقال لزعماء القبائل

(١) الطبرى ١٠٦ / ٨

(٢) ابن الاثير ١٢٨ / ٤ ، ويشير هذا المؤرخ (١٤٣ / ٤) الى
أن موقف قتيبه العنيف مع أهل سمرقند كان بسبب نقضهم
وكثرة غدرهم بالمسلمين ، وتنفيذا لأمر الحجاج بن يوسف
الذى قال له : " اختلهم واقتلهم فى الله"

: "إن أحدا يتولى هذا الأمر غير وكيع ليصلى بحره ، ويبدل دمه ويتعرض للقتل ، فإن قدم أمير أخذه بما جنى" ، وبين لهم أسباب ترشيحه لو كيع فقال : "إنه لا ينظر فى عاقبة ، وله عشيرة تطيعه ، وهو مبتور يطلب قتيبه برياسته إذ صرفها عنه ، وصيرها لضرار بن حصين الضبي" .

وعقد حيان اتفاقا مع وكيع فقال له : "إن أنا كفت عنك ، وأعنتك أتجعل لى الجانب الشرقى من نهر بلخ ، خراج ما دمت حيا ، وما دمت أميرا ؟ قال نعم" ^(١)

وجاء دور التنفيذ عندما وقع الصدام المسلح بين قتيبه ووكيع وكان حيان وفرقة الايرانية فى معسكر قتيبه ، فصرف رجاله عن المشاركة معه ، وأظهر التقاعس عن القتال ، واستاء حزب قتيبه لذلك وطالبه أخو قتيبه أن يحمل على العدو فقال : "لم يأن بعد" ثم أسر إلى ابنه قائلا : "إذا رأيتنى حولت قلنسوتى ، ومضيت نحو عسكر وكيع فمل بمن معك من العجم إلى" .

وعندما أعطى حيان الإشارة المتفق عليها انضمت الأعاجم السى عسكر وكيع وكبروا ، وأدى ذلك الى اختلال صفوف قتيبة ، وهزيمة جنده ، ومصرعه فى النهاية ^(٢) وبذلك ثبت سلطان بنى أمية وتخلصوا من هذه الثورة التى كانت تهدد ملكهم فى المناطق الشرقية ، وكان من الممكن أن تكلفهم غاليا ، لو انضم إليها الموالى

(١) الطبرى ١٠٦/٨

(٢) الطبرى ١٠٨/٨

كما حدث في ثورة ابن الأشعث ، ولكن تصدّى أنصارها من العرب والموالي لهذا التمرد كفاهم مئونة إيفاد الجيوش وبذل الأموال .

وقد يُشار احتمال أن الموالى الإيرانيين أرادوا بموقفهم من قتيبة أن يضعفوا شوكة العرب بضرب بعضهم ببعض ، وتأيد فريق ضد آخر ، ولو صح ذلك لاختار الموالى جانب المعارضة للحكم الأموى ، وما قدّرت منهم الخلافه هذا الموقف ، ولكنها كانت تكبر حيان وابنه مقاتلاً كما أسلفنا ، وكان لهذا ابن موقف آخر يشهد بإخلاصه عندما كان يحاول منع الفتنة التى وقعت بين العرب اليمنية والمضرية فى خراسان فى أواخر العصر الأموى .

وإذا كان بعض الموالى قد وقفوا هذا الموقف المعارض من قتيبة فإن بعضهم كان يكبر فيه جهاده وبطولته ، وعبروا عن أسفهم لمقتله فقالوا : يا معشر العرب قتلتم قتيبة ؟ والله لو كان منا فمات لجعلناه فى تابوت ، فكنا نستسقى به ، ونستفتح إذا غزونا . وأبدى الأصمعيّ حزنه لمصرعه ، ووصفه بأنه " سيد العرب " (١)

ووقف الإيرانيون موقفاً مشابهاً من ثورة يزيد بن المهلب الذى أشار غصبة الخلافة عليه عندما استغل نفوذه وقربه من الخليفة سليمان ابن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) فانساق خلف الرغبة فى الانتقام ونكّل بأقارب الحجاج ورجاله ، لموقف الحجاج السابق منه ، ولم

(١) ابن الأثير ١٤٣ / ٤
(٢) أشرنا الى ذلك فى الفصل الأول .

يلتزم الأمانة في التصرف في أموال الفتي^١ التي حصل عليها من فتوحات جرجان وطبرستان ، وأغضب بذلك أخا الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي كان صديقا لآل الججاج وأقسم لعن ظفر بـه ليقطعن منه طابقا^٢ ، كما أغضب الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي طالبه برد أموال المسلمين ، وسجنه من أجل ذلك

وعندما توفي عمر بن عبد العزيز ، خشي ابن المهلب أن ينفذ الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك سابق وعيده فيه ، فدبر أمر الفرار من سجنه ، وأعلن عصيانه ودعا أهل البصرة إلى طاعته وأغدق عليهم الأموال ليستميلهم .

ولم ير الموالى الإيرانيون الموجودون في خراسان أو المستقرون منهم في العراق في ثورة يزيد بن المهلب إلا موقفاً فردياً لا يهم أحداً سواه ، ولا يعبر عن شيء من مطالبهم ، فلم يتجاوبوا معها ، وآثروا مؤازرة الخلافة في مواجهتها ، وانضم قائدهم حيان البنطي إلى جيش الخلافة القادم من الشام بقيادة مسلمة بن عبد الملك ، وعبر حيان لهذا القائد عن استعداداته للتصدي ليزيد وقال له : " أنا أضمن لك أنه لا يبرح العرصة"^(١)

ولم يكن يزيد نفسه يشعر بإمكان استمالة الإيرانيين إليه ، ولذلك رفض نقل ميدان الثورة إلى بلادهم عندما اقترح عليه أخوة أن يتخذ إقليم فارس قاعدة لثورته ، وبذلك يكون قريباً من خراسان

وفيهما كثير من قومه الأزد ، ويستطيع أن يطاول أهل الشام ، وقال له : " ليس هذا برأى ، تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل^(١) ؟

وقد ذكرت المصادم قوات ابن المهلب موزعة على القبائل ، وبلغ عددهم - كما قدرته - مائة وعشرين ألفاً ، ليس فيهم أحد من الموالي^(٢) ولم تستطع هذه الثورة أن تستمر طويلاً ولقيت الهزيمة الساحقة عند أول مصادمة لها مع قوات الخلافة سنة ١٠٢ هـ .

(١) ابن الأثير ١٧١ / ٤

(٢) ابن الأثير ١٧٢ / ٤

الفصل الخامس

دور الإيرانيين في ثورات الشيعة

انصراف الإيرانيين عن التيار الخارجى :

كانت مشاركة الإيرانيين فى ثورات الخوارج قليلة محدودة برغم كثرتها وتعدد دها فى العصر الأموى ، واتخاذها من بلادهم ميداناً رئيسياً لها ، وكانت مبادئ الخوارج وشعاراتهم الأساسية فى مصالحتهم إذ كانت تدعو الى الشورى ، وأن يكون اختيار الإمام من أية جماعة من المسلمين ولا يشترط أن يكون عربياً أو عجمياً ، حرّاً أو عبداً ، ولقيت حركة الخوارج نجاحاً أكبر خارج منطقتهم ، إذ وجدوا فى بلاد المغرب تأييداً من البربر ، واستطاعوا أن يقيموا دولة قوية هناك هى الدولة الرستمية .

وكانت أعداد الموالى الإيرانيين المنضمين إلى الخوارج لا تتجاوز المئات أو العشرات ، منذ بداية ثورتهم ، وفى سنة ٣٨ هـ فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه انضم جماعة منهم إلى أبى مريم السعدى التميمى الذى خرج فى شهرزور ، ^(١) قدر عدددهم بمائتين ، وقيل أربعمائه ، ولم يكن معه من العرب الا ستة نفر . ^(٢)

وفى سنة ٤١ هـ انضم منهم ثلاثون رجلاً فقط الى أبى ليلى ، وهو ثائر خارجى ، أسود اللون ، طويل القامة ، ذهب إلى مسجد الكوفة ، وأخذ بعضادتي بابه ، وحكم بصوت عال فلم

(١) كورة واسعة فى إقليم الجبال بين اربل وهمدان ، ومعظم أهلها من الأكراد ، وهم موالى عمر بن عبد العزيز (ياقوت ٣ / ٣٧٥)
(٢) ابن الاثير ٣ / ١٨٨

يعرض له أحد ، ولم يتبعه إلا هؤلاء الموالى ، وانتهى أمره
بانهزاه أمام قوات المغيرة بن شعبه في سواد الكوفة سنة ٤٢ هـ (١)

وكان بعض الأفراد من الفرس يعتنقون مذهب الخوارج، ويشاركون
في حركات الشغب والاضطرابات التي يقومون بها ، ومنهم عجل من
أهل فارس يدعى مسلما ، دخل البصرة ، وأعلن إسلامه واتبع
مذهب الخارجية ، وفي سنة ٦٥ هـ دخل مسجد البصرة ورمى نائب
الوالي عبيد الله بن زياد المسمى مسعود بن عمرو الأزدي بسهم
فأصاب قلبه وأرداه . (٢)

وفي سنة ٦٨ هـ تعاون أهل الرى وزعيمهم الفرخان مع الخوارج
ولم يكن ذلك نقمة على الأمويين ، لأنه كان في الفترة التي سيطر
فيها مصعب بن الزبير على العراق ، وقد وجه مصعب حملة إلى الرى
لتأديبهم . (٣)

وفي الجانب الفكري المذهبي نجد من علماء الخوارج بعض
الموالى مثل أبي عبيده كورين (الذي تدعى بمسلم) مولى عروة
ابن أدية ، وكان على مذهب الإباضية . (٤)

وطبيعى أن نجد هذه المشاركة ، وأن يتأثر بعض الموالى
بالحركة الخارجية التي نشطت في بلادهم ، واتخذت من أقاليم
فارس وكرمان وطبرستان وغيرها ميادين لها (٥) ، ولكن هذه

(١) ابن الأثير ٣/ ٢٠٧ . (٢) الطبرى ٧/ ٣١ .

(٣) ابن الأثير ٣/ ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ٣/ ٢٦٥ .

(٥) انظر أخبار الخوارج الأزارقة في أحداث سنة ٧٧ هـ في الطبرى وابن الأثير

المشاركه تتضاءل أمام مشاركتهم فى حركات المعارضة الأخرى التى قام بها الشيعة والعباسيون ، والداعون للإصلاح فى الجيـش الخراسانى ، ومنهم الحارث بن سريج ، وكان تعاون الإيرانيين واضحاً فى مواجهة ثورات الخوارج ، وكان يشارك المهلب بن أبى صفرة فى حرب الأزارقة سنة ٧٧ هـ جماعات من الموالى والدهاقين ، وادعوا أنهم أصحاب الفضل فى قتل زعيمهم قطرى بن الفجاءة ونازعوا العرب هذا الأمر ، ومنهم بادام مولى بنى الأشعث ، وعمر بن أبى الصلت بن كنان مولى نصر بن معاوية ، وهو من الدهاقين .^(١)

ونستطيع أن نجد تفسيراً لموقف الإيرانيين من الحركة الخارجية فى اختلاف طبيعتهم عن طبيعة الخوارج من ناحية التكوين الفكرى والنظام الاجتماعى ، فالإيرانيون عرفوا حياة التحضر والاستقرار منذ القدم ، وعاشوا فى ظل نظم سياسية متطورة ، وحياة اجتماعية راقية وأما الخوارج فقد عاشوا حياة الخشونة والبداءة ، والزهد ، حتى وصف الحجاج زعيمهم قطرى بن الفجاءة فى رسالته وجهها إليه بقوله : " إنك أعرابى جلف ، تستطعم الكسرة ، وتستشفى بالتمرة " ^(٢) ولا يمكن لهذا النمط من الحياة أن يجذب إليه الإيرانيين .

وبرغم ما اتصف به الخوارج من شجاعة فائقة ، وتشدد فى العبادات ، فإننا لا نجد لهم فكراً واضحاً أو مبدأ مقنعاً يستحق أن يحاربوا من أجله بهذا العنف ، ويضحوا فى سبيله كل هذه التضحيات .

(٢) الجاحظ ٣١٠ / ٢

(١) الطبرى ٢٧٥ / ٧

ويتخذوا هذه المواقف المتشددة من مخالفيهم من المسلمين ، ولم تثبت لهم حجة عند ما نوقشوا في أفكارهم أمام خصومهم وهُزموا في مناظراتهم أمام علي بن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز ^(١) .

ونجد الخوارج يقاتلون من أجل أشياء تافهة لا قيمة لها إذ يقول صاحب العقد الفريد ^(٢) : " كانت الخوارج تقاتل على القدر يوءخذ منها ، والسوط والعلق الخسيس (كالجرب أو الفرس أو السيف أشد قتال " ، ويرى الدكتور أحمد شلبي ^(٣) أن الخوارج ثاروا أولا ، ثم بحثوا عن أسباب تبرر ثورتهم حتى أعياهم البحث ، ويقول : " لا يكاد الباحث يجد سبباً حقيقياً جديراً بأن يدفع الخوارج إلى إراقة الدماء التي أراقوها ، وازهاق الأرواح التي أزهدوها ، وإلى سلب أموال المسلمين وقتل نسائهم وأطفالهم " .

يضاف إلى ذلك أن الخوارج في إيران لم يشكلوا جبهة واحدة وكانوا فيما بينهم دائمي الانقسام والخلاف ، وتفرقوا - خلال فترة قصيرة ، - طرائق قددا ، فتشعبوا إلى أزارقة وبيهسيه وأباضيّة وصفريّة ، وغيرها ^(٤) . وكان إصرارهم على القتال مهما كانت الظروف غير مواتية ورفضهم لمبدأ القعدة يحرمهم من التخطيط والإعداد الجيد ، ويجعلهم عرضة للاجتثاث والاستئصال دونما أمل في النجاح .

(١) الطبري ١٤٢ / ٨ (٢) ابن عبد ربه ٢٢٣ / ١

(٣) موسوعة التاريخ الاسلامي - ج ٢ / ص ٢٢٩ ، ٢٤٤

(٤) أنظر الطبري ٥٧ / ٧ ، ٢٦٩ ، اليعقوبي ٢٧٢ / ٢

وإذا كانت صفات الخوارج وأفكارهم لم تؤهلهم للنجاح فـفى مجتمع متحضر كالمجتمع الإيراني ، فإنها أثمرت فى مجتمع آخر كان أكثر ملاءمة لها ، وهو مجتمع البربر فى المغرب ، لأنهم يشاركون الخوارج فى سماتهم البدوية من خشونة وتشدد ، كما أن الفرق التى نجحت هناك هى التى طورت من أفكارها وهذبتها وهى الاباضية والصفرية ، الذين خففوا من غلوائهم بقبول مبدأ القعدة وعدم تكفير مخالفهم من المسلمين .^(١)

ارتباط الإيرانيين بالاتجاه الشيعى :

مع تسليمنا بدور الفرس وتأثيرهم الكبير فى الحركة الشيعية ، وتلاحمهم بها فكراً وتاريخاً ، إلا أننا نرى أنه من المبالغة أن نعتبرهم العنصر الوحيد أو الأول المسئول عن حركات الشيعة وشوراتهم ، وما شاب التشيع من أفكار دخيلة ومبادئ هدامية ونتجاهل دور غيرهم .

فمن الثابت تاريخياً أن التشيع نشأ نشأة عربية سواء أرجعنا جذوره إلى حادث التحكيم أو إلى ما قبل ذلك ، وأن ميدان التشيع لم يكن مقصوراً على الفرس بل سبقتهم إليه وشاركتهم فيه عناصر أخرى كثيرة ، وأكثر الطوائف غلوا ، التى ينسب إليها كثير من مبادئ الشيعة المتطرفة كالرجعة وتآلية الإمام ، ترجع إلى أصل

(١) عن أخبار هؤلاء الخوارج فى المغرب ارجع الى ابن عذارى : البيان المغرب (طبعة بيروت) ص ٦٥ والسلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ص ٤٩

عربي يمني ، وأكثر دعاة الشيعة ، الذين حملوا فكرها واضطلعوا بنشرها في المشرق والمغرب ، وبخاصة الرؤوس التي تحركهم ، كانوا من العرب .

ومن أشد الفرق الشيعية التي عرفت بالتطرف والغموض الفرقه "الإسماعيلية" ، والتي ينتمي إليها الباطنية والقرامطة أصحاب الأفكار الغربية والاساليب الدموية ، هذه الفرقة نجحت في المغرب أكثرها نجحت في المشرق ، واستطاعت أن تقيم الدولة الفاطمية التي امتدت إلى مصر والشام ، ولكنها لم تستطع أن تشق طريقها في بلاد الفرس ، وهي في أزهى عصورها وتنام قوتها ، وأساء معظم أمراء الفرس الرد على رسا ئل العزيز بالله الفاطمي (٣٦٦-٣٨٧ هـ) وأهانوا رسله ^(١) .

وإذا كان التشيع قد نجح في بلاد الفرس ، ووجد قاعدته شعبية صادقة التأييد ، وحظي بينهم بالبقاء والاستمرار ، أكثر مما وجد في المغرب ، فإن التشيع حقق ذلك في مناطق أخرى كالعراق واليمن .

ولا ننسى أن وصول التشيع إلى إيران ، وانتشاره فيها قام على أكتاف دعاة من العرب ، وحمل رأيته ثائرون من العرب مثل المختار الثقفي وأبناء البيت العلوي ، وقادة الدعوة العباسية .

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق - القاهرة ١٩٤٨ م - ص ١٧٥

والنظرية المشهورة لدى المؤرخين ، التي تفسر ارتباط
الایرانیین بالتشیع، وهی الفكرة التي نادى بها براون وجوبینو^(١)
تنبی علی قاعدتين هما : نظرية الحق الإلهی المقدس للملوك
التي استقرت فی نفوس الفرس منذ أقدم عهودهم ، مما جعلهم
یقدسون الأشخاص ، ویرون أن فكرة توارث الملك أمر طبیعی
وأن أحق الناس بوراثة النبی صلی الله علیه وسلم هم أحفاده
وآل بيته ، الذين یجرى فی عروقهم دم النبوة. والقاعدة الثانية
التي تركز علیها هذه النظرية هی امتزاج الدم الفارسی بالدم
العلوی عن طریق زواج الحسین بن علی من شهربانوه بنت كسرى
وبذلك جمع أبناؤه بین أشرف دم عربی وأنقى دم فارسی .

وهذه النظرية - فی اعتقادنا - تحتاج إلى إعادة نظر، لأنها
لا تكفی وحدها فی تفسیر ارتباط الفرس القوی بالتشیع ، فنظرية
الحق الإلهی المقدس للملوك ، لم تكن منتشرة لدى الفرس وحدهم
بل كانت شائعة لدى معظم الأمم القديمة ، والشعوب التي دخلت
فی الإسلام ، عرفها المصريون منذ عهد الفراعنة ، وعرفتها الأمم
التي وقعت تحت الحكم البیزنطی .

وفكرة الحكم الوراثی ، وأحقية آل البيت تقبلتها كثير من الأمم
التي لم تتأثر بهذه النظرية ، مثل البربر فی المغرب الأقصى الذين

(١) انظر الدكتور حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسی - الطبعه

ارتضوا حكم الأدارسه العلويين وتمسكوا به ، ونبذوا ما عرفوه من قبل
من أفكار الخوارج الداعية إلى الشورى ، ورفض التوارث أو التفاضل
بين المسلمين .

وإذا كان الدم الفارسي قد امتزج بالدم العلوي ، فإنه قد امتزج
أيضاً بالدم الأموي ، وكان الخليفة الوليد بن يزيد من أم فارسية^(١)
وكان يفخر بهذا الانتساب^(١) ، ولكن الفرس لم يرتبطوا بهذا
النسب كما ارتبطوا بالعلويين .

كما أن هذه النظرية لا تفسر لنا سبب تأييد فريق من الإيرانيين
للكرسانية التي تدعو لمحمد بن الحنفية ، وهو ليس من أبناء فاطمة
وبالتالي لا يجري في عروقه دم النبوة ، كما أنه لم يتصل بالدم الفارسي .
وهذه النظرية قد تكون عاملاً ثانوياً أو مرجحاً ، ولكنها لا تصلح
أن تكون العامل الأوحد أو الرئيسي في تفسير ارتباط الفرس
بالتشيع الذي نرى أنه يرجع إلى عدة أسباب أخرى .

وأول هذه الأسباب التجاور المكاني بين إيران ومركز التشيع
في الكوفة ، التي ظهر فيها التشيع منذ اتخذها علي بن أبي طالب
مستقراً له ، وتركز فيها أنصاره ، وكانت أحداث التشيع وتطوراتها
تجرى فيها على مسمع ومرأى من الإيرانيين ، كما أن كثيراً منهم
وفدوا عليها واستقروا بها ، وعلى أعتابها كان مصرع الحسين بن علي
الذي هز مشاعر المسلمين عرباً كانوا أم عجماً ، وفيها قتل حفيده
زيد بن علي .

ويضاف إلى ذلك التلاحم التاريخي بين الفرس والتشيع مما أدى

إلى الانصهار في بوتقة الأحداث الواحدة المشتركة ، وبدأ الفرس يرتبطون بالتشيع منذ خلافة علي بن أبي طالب ، عندما رأوا في حكمه العدل والإنصاف ، ورعاية ذوى المكانة والشرف منهم وكان علي قد أشار على عمر بن الخطاب ألا يعامل السبايا مسن بنات كسرى كغيرهن من السوق ، وأشار بتزويجهن لبعض أشرف العرب على أن يدفعوا ما يقوّم به ، فدفع عمر بواحدة إلى ابنه عبد الله ، وبالثانية إلى محمد بن أبي بكر ، وبالثالثة إلى الحسين ابن علي .

وعندما صارت الخلافة إلى عليّ أمر عماله بالإحسان إلى الفرس مسلمين وذميين ، وعندما سير زياد بن أبيه لتأديب المنشقين من أهل فارس قال له : " اتق الله ما استطعت ، ولا تبغ على أهل قبله ولا تظلم أهل الذمة " ، ولا تتكبر فإن الله لا يحب المتكبرين ^(١) .

وعندما شكوا بعض الدهاقين من عامله عمرو بن مسلمة كتب إليه : " إن دهانين بلادك شكوا منك غلظة واحتقارا ، فنظرت إليهم فلم أرهم أهلا لأن يُدُنوا لشركهم ، ولم أر أن يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة في غير ما أن يُظلموا ولا تنقض لهم عهدا " .

وكانت ثورات العلويين والشيعة تجري على أطراف بلادهم ، ثم امتدت إليها ، ولا شك أن مصرع الحسين بن علي قرب الكوفة سنة ٦١ هـ قد حرك مشاعرهم ، وجاء المختار الثقفي فاستطاع

أن يوثق العرى بينهم ، وبين الحركة الشيعية ، ويحول المشاعر إلى عمل ، ويوقظ في نفوسهم آمالاً كباراً ، ثم جاء يحيى بن يزيد فامتد بالتشيع إلى الميدان الإيراني ، وانتقل بثورته إلى خراسان التي لقي فيها مصرعه سنة ١٢٥ هـ .

وعرف كثير من الإيرانيين الإسلام عن طريق دعاة من العلويين نشطوا في نشره بينهم ، فتلقوه ممزوجاً باتجاههم وأكفارهم ، مثل سكان نواحي شهرزور ، الذين تلقوا الإسلام على يد زيد بن علي^(١) .

وكانت عملية التأثير الفكري النشط التي قام بها دعاة الشيعة في إيران عنصراً فعالاً في ربط أهل البلاد بهذا المذهب ، وكانت دعوتهم تمتاز بالتخطيط الجيد ، والعمل السري الدائب ، وواضح أن خلاياهم أنبثت في خراسان منذ وقت مبكر ، قبل ظهور الدعوة العباسية ، وأن الكيسانية قد نجحوا في استثمار نتائج ثورة المختار وتأثيرها في الفرس ، وتولى زعيمهم أبو هاشم بن محمد بن الحنفية توجيه الدعوة حتى أصبح له كثير من الموالين في خراسان والعراق وهم الذين أصبحوا بعد ذلك نواة الدعوة العباسية ، حينما تلقوا أوامره قبل موته بتحويل ولائهم إلى العباسيين^(٢) .

وتلقف العباسيون هذه الخلايا السرية ، وعملوا على تطويرها وزيادة نشاطها ، وأرسلوا الدعاة والنقباء ، وكان الإيرانيون أرضاً بكرًا فغرس فيها هؤلاء الدعاة أفكارهم ومبادئهم ، وأيقظوا فيهم

الطموحات البعيدة ، يدل على ذلك قول صاحب الدعوة محمد بن
على العباسي لدعائه : " عليكم بأهل خراسان ، فإن هناك العدد
الكثير ، والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة ، وقلوب فارغة ، لم
تقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدم عليها غساد^(١) "

وكان سوء الإدارة الأموية في بعض فتراتهما ، وقسوة بعض عمالها
على الموالى مثل الحجاج ، وأسد بن عبد الله ، وأشرس بن عبد الله
الذين أثروا المصلحة المالية على الالتزام بالمبادئ الإسلامية ،
عاملًا مساعدًا في تطلع الإيرانيين إلى عهد جديد وارتباطهم
بالتشيع عسى أن يجدوا فيه تحقيقًا لهذا الأمل .

وأما انتشار الفكر الشيعي المغالي ، وانحراف التشيع بصورة
واضحة عن المسار الإسلامي الصحيح فإنه يرجع في أغلبه إلى العهود
التي تلت العصر الأموي ، ويدل على ذلك أن أكثر الأعلام الذين
ترتبط بهم فرق الشيعة ، يرجعون إلى العصر العباسي كإسماعيل
بن جعفر الصادق^(٢) الذي تنسب إليه الإسماعيلية ، والحسن
العسكري^(٣) آخر الأئمة الاثنا عشرية ، وكذلك الفرق المغالية
كالباطنية من أتباع الحسن الصباح ، والقرامطة ، ومفكرو الشيعة
المشهورين كالكليني والقمي والطوسي^(٤) .

وهكذا نرى أن ارتباط الفرس بالتشيع قام على أسس متعددة ، امتزج
فيها الفكر بالعمل ، وارتوت فيها العاطفة بالدماء ، والتفت فيها

(١) باقوت ٢ / ٣٥٢ (٢) مات قبل أبيه الذي توفي سنة ١٤٨ هـ

(٣) توفي سنة ٢٦٠ هـ (٤) محمد بن يعقوب الكليني صاحب
كتاب الكافي ت ٣٢٩ ، ومحمد بن علي القمي ت ٣٨١ ، ومحمد بن الحسن
الطوسي ت ٤٦٠ هـ .

المصالح بالمال ، ولم يقد فقط على اطلال فكره قد يمة تـوارت
مع ظهور الاسلام ، ومصاهرة فرديه ، لم تكن فريدة من نوعها بين
قادة العرب وسبايا الفرس .

الإيرانيون وثورة المختار الثقفي

موقف المؤرخين من المختار :

ينتمي المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي إلى قبيلة ثقيف
العربية التي كانت تسكن الطائف ، والتي قد مت لبنى أمية كثيرًا من
القادة والبطال المشاهير مثل المغيرة بن شعبة ، وزياد بن أبيه
وابنه عبيد الله ، والحجاج بن يوسف ، ومحمد بن القاسم ، ويوسف
ابن عمر . وأبوه هو الصحابي الجليل أبو عبيد بن مسعود الذي
أبدى شجاعة نادره واختاره الخليفة عمر بن الخطاب ليقود الجيوش
الفاخرة في حرب الفرس ، ولقى الشهادة في موقعة الجسر سنة
١٣ هـ .

وارتبط المختار منذ نشأته بالاتجاه العلوي الشيعي ، فكان
هو وأسرته من أنصار علي بن أبي طالب ، وتولى عمه سعد بن مسعود
المدائن عاملاً لعلی ، وكان المختار ينوب عنه إذا خرج لقتال
الخوارج (١)

(١) الدينوري : الأخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر - مكتبة
المثنى في بغداد - طبعة بالآؤفست - ص ٢٠٥

وبدأ المختار حركته الثورية ضد بني أمية سنة ٦٦ هـ كرد فعل لمصرع الحسين بن علي في المحرم سنة ٦١ هـ ، معلنا شعار الثأر له ، واستطاع أن يجذب الى حركته كثيرا من أهل الكوفة من العرب والموالي الايرانيين ، ونجح في انتزاع الكوفة من عامل ابن الزبير ثم انتصر على الجيش الذي وجهه اليه الامويون في موقعة خـازر سنة ٦٧ هـ ، وتمكن من الثأر من كثير من قتلة الحسين ، وعلى رأسهم الوالي الأموي عبيد الله بن زياد ، وبسط سلطانه على عدة مناطق مجاوره حتى شمل الموصل وارمينيه وأذربيجان^(١) ، وفي نهاية المطاف دخل في صراع عنيف مع مصعب بن الزبير ، ولقي مصرعه أمامه في رمضان سنة ٦٧ هـ ، وكان عمره سبعا وستين سنة^(٢)

تعرض المختار لهجوم كبير من المؤرخين قداما ومحدثين ، وقليل منهم من نظر اليه بعين الحيدة والإنصاف^(٣) ، فاتهم بأنه متقلب الأهواء متغير الولاء ، كما اتهم بالكذب والادعاء ، ف قيل انه كان علويا ، ثم اراد أن يكون أمويا ، وأغرى عمه بتسليم الجـسن ابن علي إلى بني أمية^(٤) ، ثم انضم إلى ابن الزبير وبايعه ، ثم انشق عليه ودعا إلى نفسه بالكوفة^(٥) ، وزعم أنه موفد من قبل

-
- (١) الطبري ١٠٩ / ٧ ، الدينوري ٢٩٩
(٢) انظر أخبار المختار في الطبري ح ٧ ، والمسعود ح ٣ واليعقوبي ح ٢ ، وابن الاثير ح ٣ ، والدينوري ص ٢٠٥ وما بعدهـا ،
(في أخبار السنوات من ٦٤ الى ٦٧) .
(٣) مثل الاستاذ الدكتور علي حسني الخربوطلي في كتابه : المختار بن أبي عبيد الثقفي (من سلسلة أعلام العرب)
(٤) ابن الاثير ٢٠٣ / ٣ ، ٣٣٧ ،
(٥) المسعودي ٧٤ / ٣

محمد بن الحنفية ، ولم يتورع عن ادعاء النبوة ، والقول بالبـدأ^(١) ،
وتقدّيس كرسى زعم أنه لعلّى بن أبى طالب وأنه بمنزلة تابوت موسى
وكان يقدمه فى معاركه ليجلب له النصر^(٢) .

ولكن استنطاق الأحداث وتتبع الوقائع يوضح لنا أن المختار
كان صادق التشيع ثابت المبدأ والغاية ، ولكنه كان يبحث عن
الوسيلة المثلى التى يحقق بها ما يريد ، وكان تغييره على الحسن بن
على ، وتحريضه على تسليمه لبنى أمية بسبب ما أشيع عن اعتزام
الحسن الصلح معهم ، والتنازل لمعاوية ، ولكنه عندما رأى بعد
ذلك الجديهِ وصدق العزيمة من الحسين بن على لم يتوان فى
تأييد داعيته بالكوفة عقيل بن أبى طالب ، وكان أكثر الناس إخلاصاً
له ، وتعرض بسبب ذلك لعقاب الوالى عبيد الله بن زياد الذى ضربه
حتى شتر عينه ، وأودعه فى السجن^(٣) .

وكان المختار خلال هذه المحنة لا يترك يرد فى سجنه أنه
الثائر المنتقم الذى يحمل على عاتقه مهمة الثأر للحسين ، حتى
تشفع له عبد الله بن عمر فخرج من سجنه ، وعندما قامت حركة
التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي مطالبين بدم الحسين
وقف منهم موقف المعارضة ، لأنهم اعتمدوا على الانفعال العاطفى
دون الإعداد والتخطيط ، ولذا كان المختار يصف زعيمهم بأنسه

(١) يقال إنه كان يعد أتباعه بالوعود فإذا لم تتحقق قال لهم :
إن الله قد بدا له غير ذلك .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل - مكتبة الحلبي بمصر - ١ / ١٤٧

(٣) ابن الأثير ٣ / ٢٧٥ - ١٤٩

" ليس بذى تجربه للأُمُور ، ولا علم له بالحرب ، وإنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم" ^(١) وعند ما حبسه أهل الكوفة حتى لا يعتـرض سبيل التوابين ، كان يردد فى سجنه ما يوءن به من أنه وحـده الذى يستطيع أن يضطلع بهذه المهمة ، وقد أثبتت الأحداث صدق رؤية وتوقعه لحركة التوابين إذ لقوا مصرعهم أمام جيش ابن زياد فى عين الوردة ٦٥ هـ ^(٢)

وأما موقفه من ابن الزبير ، فكان المختار يريد أن يربط بين حركة ابن الزبير والحركة الشيعية ، ويوحد جهودهما ضد بى أمية ولذا اتجه إلى الانضمام إليه ، واشترط عليه " ألا يقضى الأُمُور دونه ، وأن يجعله أول الداخلين عليه" ، ولكن ابن الزبير لم يلتزم بهذا الشرط ، فلم يشركه فى أمره ، فاقترح المختار أن يكون نائبه فى الكوفة ليجمع أهلها من حوله ، فما لبث ابن الزبير أن اعتـرض على وسائل المختار فى تأليفهم ، واغداقه المال عليهم ، وتصرفه فى بعض الأُمُوال لحساب نفسه ^(٣) ، فأحس المختار بفشل هـذا التحالف الشيعى الزبيرى ، ونبذ طاعته .

وستطيع أيضا أن نربط بين موقف المختار من ابن الزبير ، وموقف محمد بن الحنفية ، الذى أعلن المختار أنه داعيته الموكـل من قبله ، فقد رفض ابن الحنفية مبايعة ابن الزبير ، وعارضه فى مكة وتعرض بسبب ذلك لسجنه ، وكان موقف المختار موافقا لموقفه ^(٤).

(٢) المسعودى ٩٣ / ٣

(٤) ابن الأثير ٢٧٥ / ٣

(١) الطبرى ٢٧٥ / ٣

(٣) المسعودى ٧٤ / ٣

وأما اتهام المختار بأنه كان مدعياً في ارتباطه بابن الحنفية وأنه لم يكن موفداً حقيقة من قبله ، فقد استشهد المختار أمام أهل الكوفة عندما تعرض لهذا الاتهام ببعض علماء الكوفة وقراءها ، فشهد له جماعة منهم مثل يزيد بن أنس ، وأحمر بن شमित ، وعبد الله بن كامل وجماعتهم ، وهم قوم عدول ، ليس هناك ما يدعوهـم إلى شهادة زور ، ورفض بعض آخر أن يشهد له مثل الشعبي وأبيـه^(١) .

ولم يثبت عن محمد بن الحنفية أنه تبرأ من المختار أو أعلن أنه يفترى عليه الكذب ، بل على العكس التزم ابن الحنفية بنصيحة عبد الله بن العباس في عدم تكذيبه أو العيب فيه^(٢) ، وكانت هدايا المختار تأتية فيقبلها ، وكان يكاتبه باستمرار ، ويوجه إليه برؤوس من ظفر بهم من قتلة الحسين^(٣) .

وعندما شكك بعض أهل الكوفة في صدق المختار طلب منهم أن يرسلوا وفداً إلى ابن الحنفية ليتأكدوا بأنفسهم وكان من بين أهدافه أن يرشهم حتى يكتسب وقتاً ، ويرجع معظم جيشه الذي كان بعيداً عن الكوفة ، ولكن هذا الموقف من المختار يدل على ثقته في دعواه إذ كيف يكون موقفه لورجع الوفد مكذبا له ، وهناك موقف عملي يدل على اعتراف ابن الحنفية به وتأييده له ، وذلك عندما أرسل إليه وهو في سجن ابن الزبير يستنجد به ، ويطلب نصرته ، فأرسل المختار

(١) المسعودي ٧٤ / ٣ (٢) ابن الأثير ٢٧٥ / ٣

(٣) ابن الأثير ٣٨٨ / ٣

(٤) الدينوري ٣٠٧ ، الطبري ١٢٧ / ٧

جماعة من رجاله الى مكة، عُرفوا باسم الخشبية^(١)، فأُنجدوه .

وأما ما يقال عن فساد معتقده ، ومزاعمه الدينيه ، فالدلائل تشير الى أنها أكاذيب من ترويج أعدائه ، إذ كيف يجروء على ادعاء ذلك وهو في الكوفة مستقر كثير من العلماء والفقهاء ، وكيف يقبل بعضهم أن يقاتلوا تحت رايته^(٢) وإذا جاز أن يخادع الموالين حديثي العهد بالإسلام فكيف يخادع أتباعه من العرب الراسخين في الإسلام ، وعلى رأسهم ابراهيم بن الأشتر قائده ، وكيف يقاتلون معه حتى النهاية من أجل دعوة باطلة .

وليس أدل على تهافت هذه الروايات من إعراض بعض المؤرخين كابن خلدون ، عن ذكرها تماما ، عندما تحدثوا عن أخبار المختار^(٣) .

ونظرة إلى بعض الروايات التي تنتقص من المختار توضح لنا ما فيها من تهافت وتكلف ، وأنها مصنوعة صنعاً ، فقد رُوي أن المختار عند محاصرته واشتداد الأمر عليه قال لأحد خاصته : اخرج بنا نقاتل على أحسابنا لا على الدين فاسترجع صاحبه وقال : لقد ظن الناس أن قيامك بهذا الأمر دينونة ، قال : لا لعمري ما كان لا لطلب دنيا^(٤) !

(١) لا تُهم تورعوا عن دخول الحرم بالسلاح ، واكتفوا بعصى من الخشب

(٢) الطبري ١١٨ / ٧ (٣) ابن خلدون ٥٤ / ٥ - ٧٢

(٤) الدينوري : الأخبار الطوال : ٣٠٧

وكأن المختار في هذه الرواية يتطوع لمهاجمة نفسه ، دون أن يطلب منه أحد ذلك ، ويصر على أنه طالب دنيا ، في وقت هــو أحوج ما يكون فيه لتأييد رجاله .

ويروى الطبرى هذه الرواية بصورة أخرى أكثر اعتدالاً مما يدل على قصد التحريف وتعمره في الأولى ، فيقول إن المختار رأى تقاعس أحد رجاله عن القتال وهو السائب ، فقال له : " قاتل على حسبك ان لم تكن لك نية ^(١) " .

وإذا كان صدق العمل والتضحية يدل على صدق المعتقد ، فإن المختار قد قاتل عما يعتقد به بشجاعة فائقة ، وآثر الموت على الفرار ، وكان يقول : جبذا مصارع الكرام ^(٢) ، وقاتل معه حتى النهاية ستة آلاف من العرب والعجم ^(٣) .

ولو كان المختار مدعياً فاسد المعتقد ، ما قبل رجل من أهل التقى والورع وهو عبد الله بن عمر - وكان زوج أخته ^(٤) - أن يشفع له عندما سجنه عبيد الله بن زياد ^(٥) ، وما أبدى أسفه على نهاية المختار وصحبه عندما قال لمصعب بن الزبير : " أنت القتاتل سبعة آلاف من أهل القلعة في غداة واحدة ؟ " قال : إنهم كانوا كفرة سحرة " فقال : " والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك

(١) الطبرى ١٥٥ / ٧ . (٢) الطبرى ١٤٩ / ٧

(٣) الدينورى ٣٠٩

(٤) تزوج ابن عمر من صفية أخت المختار وأنجب منها ولده عبيد الله ،

(ابن الأثير ١٩٣ / ٤)

(٥) ابن الأثير ٣٣٧ / ٣ ، ٣٣٨ ، ٣٥٦

سرفاً" (١)

وتمسكت زوجة المختار بالوفاء له ، وهى عمرة ابنة الصحابى
الجليل النعمان بن بشير ، وعند ما خيرها مصعب بين القتل
أو أن تشهد بكفر المختار وتبرأ منه قالت : " رحمة الله إن كان
عبدا من عباد الله الصالحين " (٢) ، وقالت : شهادة أرزقها
فأتركها ؟ كلا ، إنها مودة ثم الجنة والقدوم على رسول الله وآل بيته . (٣)

إن أكثر ما كتب عن المختار مما روّجته أهواء أعدائه الكثيرين ، من
أمويين وزبيريين ، وعرب ساخطين ، وشيعة ناقمين عليه موقفه من
الحسن بن على ، وكان أشدهم سخطا أشراف الكوفة الذين نقموا
عليه تقديمه الموالى ، وإيثاره لهم ، وكان المختار يقول لهم : " أكرمتكم
فشمختم بآنافكم ، ووليتكم فكسرتم الخراج ، وهؤلاء العجم أطوع لى
منكم وأوفى ، وأسرع إلى ما أريد " ، ولذا لم يكن مستبعداً أن تصدر
عنهم كثير من الاتهامات والشائعات ضد المختار كما يقول الدينورى (٤)
: " فدنت العرب بعضها الى بعض وقالوا : هذا كذاب يزعم أنه
يوالى بنى هاشم ، وإنما هو طالب دنيا " .

ولكننا نجد الرد على ذلك فى قول أحد أعيان بنى هاشم ،
المشهود لهم بالعلم والدين وهو عبد الله بن عباس إذ قال له عبد

(٢) الطبرى ١٥٨ / ٧

(١) الطبرى ١٥٨ / ٧ ، ١٥٩

(٣) المسعودى ٩٩ / ٣ ، ١٠٠ ، اليعقوبى ٢٧١ / ٢

(٤) الأخبار الطوال ٢٩٩

الله بن الزبير : ألم يبلغك قتل الكذاب ؟ قال : ومن الكذاب ؟
قال : ابن أبي عبيد ، قال : بلغني قتل المختار ، قال : كأنك
نكرت تسميته كذابا ، ومتوجع له ؟ قال : ذاك رجل قتل قتلنا وطلب
ثأرنا ، وشفى غليل صدورنا ، وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة^(١)

مكاسب الايرانيين من ثورة المختار :

كانت الفترة القصيرة التي ظهر فيها المختار في الكوفة من سنة
٦٤ هـ الى ٦٧ هـ ، واستيلائه على مقاليد الحكم فيها لمدة عامين
من ٦٦ هـ الى ٦٧ هـ ذات أثر كبير في حياة الموالي الايرانيين
الذين كانوا يعيشون فيها ، تبين خلالها أنهم قوة بشرية وسياسية
لا يستهان بها ، ويجب على كل الحركات الثورية أن تضعهم في
حسابها ، وتعمل على الإفادة منهم ، كما انعقدت خلالها الصلة
القوية بينهم وبين الحركة الشيعية ، وأصبحوا رافداً جديداً يزيد
قوة وتأثيراً ، كما أنها وضعتهم على طريق المساواة الكاملة مع العرب
وأيقظت آمالهم في مزاحمتهم على مراتب القيادة ومصاف الزعامة .

وقد استطاع المختار أن يضع يده على هذه القوة الإسلامية
الجديدة ، ويعرف كيف يستثمرها لحساب أهدافه ودعوته ، وساعده
على ذلك ذكاؤه ، وقوة منطقه ، وحسن اختياره للوقت الذي فجر فيه
ثورته وهو الفترة التي أعقبت وفاة يزيد بن معاوية وسادت فيها

الاضطرابات ، واهتز عرش بنى أميه ، وقوة التأثير فى الشعب —
الذى رفعه وألهب به مشاعر الناس وهو الثأر لدم الحسين^(١) واختياره
للميدان المهيأ الذى ينطلق منه وهو الكوفة مركز الشيع ، والمعارضة
لبنى أميه ، وملتقى المهاجرين من العرب والفرس .

وكان المختار على علم وخبرة بهذا الميدان وأهله مذكّان فى
صفوف على بن أبى طالب ، وكان عمه واليا على المدائن ، وظل
على اتصال بهذا الميدان متقصيا لأخباره خلال وجوده فى الحجاز
عندما كان منضما لابن البير ، فكان لا يقدم عليه أحد من أهـل
الكوفة الا سألـه عن حال الناس فيها ، وعلم أن فيها جماعات من
الرافضين لحكم بنى أميه وحكم ابن الزبير ، ينتظرون قائداً يوجههم
ورجلاً يجمعهم ، فقال : " أنا أبو اسحاق ، أنا والله لهم ، أجمعهم
على الحق ، وألقى بهم ركبـان الباطل ، وأهلك بهم كل جـار
عـنـيد^(٢) .

وحاول المختار أن يجمع جهودهم الى جهود ابن الزبير ،
فعرض عليه أن يستعين بهم ، وقال له : " إني أعرف قوماً لو أن لهم
رجلاً له رفق وعلم بما يأتى لاستخرج لك منهم جنداً تغلب به
أهل الشام ، فقال من هم ؟ قال شيعة بنى هاشم بالكوفة " .
فقال له : كن أنت ذلك الرجل " وبعثه إليهم ، ولكن المختار ما
لبث أن اختلف مع ابن الزبير ، على نحو ما ذكرنا ، وأخذ يعمل
لحساب نفسه^(٣) .

(١) اليعقوبى ٢٥٨ / ٢ الدينورى ٢٩٢
(٢) ابن الاثير ٣٣٨ / ٣ (٣) المسعودى ٧٤ / ٣

واتجه المختار في بداية الأمر إلى الاعتماد على العنصر العربي في الكوفة ، وبخاصة اليمنية ، ونجح في استمالة إبراهيم بن الأشتر، وجعله قائدا لجيشه^(١) ، واصطفى أهل همدان ، وبايعه معظم العرب^(٢) .

ولكن المختار كان يخشى أن يصيبه ما أصاب علياً فولد به الحسن والحسين من خذلان عرب الكوفة وتقاعسهم ، ولذا كان يبحث عن عنصر جديد يكون أشد ولاء وإخلاصاً له ، وقد وجد ضالته فـلى هوءلاء الموالى الإيرانيين الذين قدموا على الكوفة وغيرها ممن الأمصار تاركين قراهم وأرضهم رغبة في المشاركة في الحياة الجديدة والاتجاه إلى الجندية ، وقد تقبلهم الأمويون في بادىء الأمر، وفرضوا لهم العطاء ، وبلغ عدد دهم بالكوفة وحدها زهاء عشرين ألف رجل ، وكانوا يسمون بالحمراء^(٣) .

وخالط هوءلاء الأعاجم العرب ، وشاركوهم في الحياة العامة ولكن فريقاً من أشرف العرب وقادتهم نظروا إليهم بازدراء وتحقير واعتبروهم فيئاً لهم ، وعبيداً منووا عليهم بالعتق ولذلك كانوا يسمونهم بالعبيد^(٤) ، ودفع هذا الموقف الموالى إلى الحنق والنقمة والسعى لتغيير هذه الأوضاع .

ولذا وضع المختار خطة لا تجتذب هوءلاء الموالى والاعتماد عليهم في ثورته ، تعتمد على إصلاح أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية

(٢) ابن الأثير ٣ / ٣٣٩

(٤) الطبرى ٧ / ١١٦

(١) الدينورى ٢٨٩

(٣) الدينورى ٢٢٨

فكان الكسب الأول الذى أعطاه لهم هو الاعتراف بشرف عنصرهم وعراقة أصلهم ، وأنهم ليسوا أتباعا وعتقاء ، وكان قائده إبراهيم بن الأشتر يفخر بهم ، ويقول عنهم : " ما قوم أشد بصيرة فى قتال أهل الشام من هؤلاء الناس الذين تراهم معى ، وإنما هم أولاد الأساورة من أهل فارس والمرآزة^(١) " ، وكان المختار يدنيهم إليه " ويقرب مجالسهم " ، ويقول لهم : " أنتم منى وأنا منكم " (٢) وكان يدعوهم إلى التمسك بحقوقهم ، والمطالبة بها ، ويقول لهم : " كونوا أحراراً كراماً " (٣)

وكان الكسب الثانى الذى حققه الموالى الإيرانيون تحت قيادة المختار هو تحسين أوضاعهم الاقتصادية ، بإشراكهم فى الفىء^(٤) وفرض الاعطيات لهم ولا بنائهم^(٥)

وكانت هذه السياسة ماثرة سخط العرب ، وبخاصة الأشراف والسادة الذين تخوفوا من مقاسمة الموالى لهم فى الامتيازات المالية كما يقول الطبرى^(٦) : " ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شئ هو أعظم من أن جعل للموالى نصيباً من الفىء " ، فاجتمعوا الساخطون وقرروا أن يتخذوا موقفاً من المختار وثورته فقالوا : " لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضى منا ، ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب ، وأعطاهم ، وأطعمهم فيئنا ، ولقد عصتنا عبيدنا " ثم أرسلوا إليه رسولا منهم هو شيب بن ربيع ليحدثه فى ذلك

(١) الدينورى ٢٩٥ (٢) الدينورى ٩٩ ، ٣٠٠

(٣) المصدر السابق ٣٠٠ (٤) الطبرى ٦٦ / ٧

(٥) الدينورى ٢٩٩ (٦) تاريخ الأمم والملوك ٦٦ / ٧

فقال له : " عمدت إلى موالينا وهم فيء أفاءه الله علينا ، وهذه البلاد جميعاً ، فأعتقنا رقابهم ، نأمل الأجر والثواب والشكر ، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاء في نبيئنا " .

وأراد الفختار أن يبين لمحدثه فهمه الموقف العرب ونواياهم فقال له : " إن أنا تركت لكم مواليكم ، وجعلت فيأكم فيكم أتقاتلون معي بنى أمية وابن الزبير ، وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أطمئن إليه من الأيمان ؟ " فقال الرسول : ما أدري حتى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك " وخرج فلم يرجع إليه .^(١)

ولم يكن هذا الموقف يمثل كل عرب الكوفة ، بل يمثل جماعته من أشrafهم ، وأصحاب المصلحة في الوضع القائم ، بدليل أن جماعات منهم وبخاصة همدان كانوا يقاتلون جنبا إلى جنب مع الموالى تحت راية المختار ، بينما وقفت ربيعة على الحياد .^(٢)

وكان الكسب الثالث الذى أفاده الموالى من انضمامهم للمختار تقدمهم إلى المناصب القيادية ، فأصبح أحدهم وهو أبو عمرة كيسان قائداً لحرس المختار ، وصاحب شرطته ، والمتحدث بينه وبين الفرس ، كما أوكل إليه معاقبة كل من يقع في يده من قتلة الحسين وقد ذكر الدينورى^(٣) أنه مولى بجيلة ، وذكر الطبرى^(٤) أنه مولى عرينه .

(١) الطبرى ٦٦ / ٧ ، وابن الاثير ٣ / ٣٦٥ (مع اختلاف يسير في العبارة)

(٢) الدينورى ٢٩٩ ، ٣٠٠

(٣) الاخبار الطوال ٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

(٤) المصدر السابق ٢٩٥ ، ٢٩٩

واستمر تقدم الموالى تحت راية المختار حتى أصبحوا أدنى
اليه من العرب، بسبب ثقته فيهم، وإخلاصهم له، يقول
الدينورى^(١) : " وقرب أبناء العجم . . . وباعد العربوا أقصاهم
وحرّمهم " .

واستطاع هؤلاء الموالى أن يشبّثوا تحت راية المختار كفاءتهم
القتالية، وجدّ ارتهم بتقريبه إياهم، وتزايد عدد هم في جيشه
حتى قاربوا الأربعين ألفاً، حتى لا يكاد يسمع في جيشه من يتكلم
بالعربية^(٢)

وكان الموالى حريصين على الاحتفاظ بالمكاسب التي حققوها
بقيادة المختار، وعندما رأوه يحادث جماعة من أشراف الكوفة
تخوفوا أن يميل اليهم، ويعدل عن سياسته نحوهم، وطلبوا من
زعيمهم أبى عمرة كيسان أن ينقل اليه مخاوفهم، فلما سأله المختار
عما يقولون، قال له : " شق عليهم - أصلحك الله - صرفك وجهك
عنهم الى العرب، فقال له : قل لهم : لا يشقن ذلك عليكم
فأنتم منى وأنا منكم"^(٣)

وحرص الموالى على الدفاع عن هذه المكاسب ضد مناوئهم من
أشراف الكوفة، حتى قال عنهم أحدهم وهو يحادث أصحابه :
" وعبيدكم ومواليكم أشد حنقا عليكم من عدوكم، فهو مقاتلكم بشجاعته
العرب وعداوة العجم"^(٤)

(١) الأخبار الطوال ٢٩٩ (٢) المصدر السابق ٢٩٥، ٢٩٩

(٣) الطبرى ١٠٩ / ٧ (٤) الطبرى ٧ / ٦٦

وحقق الموالي تحت راية المختار انتصارات عظيمة عجز عنها جيشه الأول الذى يضم غالبية عربية ولقى الهزيمة أمام جند الشام فى ذى الحجة سنة ٦٦ هـ، فلما أعد المختار جيشه الثانى فى أوائل سنة ٦٧ هـ "وكان جلهم من أبناء الفرس" حقق انتصاراً ساحقاً فى موقعة خازر، وقضى على الوالى الأموى عبيد الله بن زياد الذى يعده المسئول الأول عن دم الحسين^(١)، ثم أحرز انتصاراً ثانياً على تجمع المعارضين من عرب الكوفة برغم كثرتهم وتعدد قبائلهم^(٢).

ولا يعنى ذلك أن الموالي كانوا العنصر الوحيد فى جيش المختار بل كان فريق منهم من العرب، وكان رجاله الذين استسلموا بعد مصرعه لمصعب بن الزبير ستة آلاف منهم ألفان من العرب^(٣) كما كان قادة جنده، ومعظم عماله الذين ولاهم على البلدان التى حكمها من العرب^(٤).

لقد أثبت المختار أنه كان أبعد نظراً وأكثر استجابة لتطورات عصره بالإفادة من القوة الإيرانية النامية التى أهملها كثير من معاصريه، ولم يفكر ابن الزبير فى الإفادة منها، وكان مصعب يرى أن الموالي أدنى درجة من العرب، وكان يعير من يتصل بالدم الفارسى من أهل الكوفة^(٥)، كما كان ينوى قتل الأسرى العجم من أتباع المختار وترك العرب لولا معارضة رجاله الذين قالوا له: "أى دين هذا، وكيف ترجو النصر، وأنت تترك العرب وتقتل العجم

(١) الدينورى ٢٩٣ (٢) الدينورى ٣٠٠

(٣) الطبرى ١٦٠/٧، ١٦١ (٤) المصدر السابق ١٠٩/٧ (٥) البلاذرى: أنساب الأشراف القسم الثانى من الجزء الرابع صـ

ود بينهم واحد" (١) .

وأثبتت الأحداث صدق نظريته في عرب الكوفة ، فقد تخلوا عنه كثير منهم وانحازوا الى مصعب بن الزبير ، ثم تخلوا عن مصعب وانضموا الى الأمويين (٢) ، كما خذلوا بعد ذلك ابن الأشعث وكانوا سبب هزيمته في دير الجماجم .

ولم يُقدَّر لحركة المختار - التي تُعدُّ أول انتصار حقيقي لقضية الموالي - أن تستمر طويلا ، لأن المختار لم يتمكن من إيجاد الموازنة الصحيحة بين العرب والعجم ، ولم ينجح في إرضاء الطرفين ، فنفر العرب منه ، وكانوا العنصر الغالب والأقوى في ذلك الوقت فدفعهم إلى الانضمام لابن الزبير ضده ، كما أنه اتخذ شعـار الثأر لمصرع الحسين ، ولا يمكن أن يقوم نظام قوى تحت شعـار الانتقام وحده ، إذ فتر حماس أتباعه بعد إشباع رغبتهم في الثأر ووهنت القوة الدافعة التي يستمدونها من هذا الهدف ، وبالغ في القتل وسفك الدماء ، فزاد في تنفير الكثيرين منه ، وجعلهم ينفضون من حوله .

ولكن ثورته فتحت عيون الحركات الثورية التالية على الجانب الاجتماعي لقضية الموالي ، فعملت على اكتسابهم لصفوفها بتبني مطالبهم ، وفتح منافذ الأمل أمامهم ومنها ثورة ابن الأشعث ، ودعوة العباسيين ، وثورة الحارث بن سريج .

(١) الطبرى ٧ / ١٦٠ ، وكان شيت بن ربعي من قادة الكوفة يفعل

مثل ذلك فيقتل العجم ويترك العرب (الطبرى ٧ / ١٠٣) .

(٢) الدينورى ٣١٣ ، الطبرى ٧ / ١٨٤

دور الموالى الايرانيين فى الدعوة العباسية

مرحلة الدعوة السرية :

كانت الدعوة العباسية فى بعض جوانبها امتداداً للحركة الشيعية ، و لثورة المختار ، فقد اعتمدت فى بدايتها على القاعدة البشرية التى أوجدها الشيعة ، واستثمرت التضحيات والدماء التى بذلها العلويون ، وواصلت السياسة التى بدأها المختار فى اكتساب العناصر الإيرانية ، وتبشيرها بعهد جديد يحقق لها مزيداً من التقدم الاجتماعى والمكاسب السياسية ، وأرست دعائمها على القواعد التى أوجدها الكيسانية - خلفاء المختار - الذين تزعمهم أبو هاشم بن محمد بن الحنفية ، وورثت من بعده الخلية النشطة التى كونها فى العراق وإيران ، ووسعت نطاقها ووطورت أساليبها .

وإذا كان الإيرانيون قد أخفقوا فى حركتهم الأولى تحت راية المختار فإنهم قد نجحوا فى حركتهم الثانية تحت راية أبى مسلم ، لأن العنصر العربى الذى وقف ضدهم فى المرة الأولى ، ووجد مؤازرة من القوى السياسية المسيطرة من زبيريين وأمويين ، كان قد ضعف وأصابه التفكك بسبب العصبية القبلية والصراعات المحلية التى تحولت الى حرب أهلية فى خراسان ، وانشغال الخلافة عن نصرته بما انبثق حولها من فتن أخرى فى الشام والجزيرة الفراتية.

وكان ارتباط الموالى الإيرانيين بالدعوة العباسية قويًا وثيقًا صاحب مولدها ، وواكب مسيرتها ، وإذا كانت الدعوة عربية القيادة والتخطيط فإنها كانت إيرانية القاعدة والتنفيذ فى مرحلتها السرية والعلنية .

ولا نبالغ إذا قلنا إن ارتباط الإيرانيين بالعباسيين بدأ قبل دعوتهم ، وعرف الإيرانيون الولاء لهم عن طريق أحد موالى عبد الله بن العباس وهو أبو عكرمة السراج الذى هاجر الى خراسان ، ونشر فيها علمه الذى أخذه عن أستاذه ومولاه فكان أهل المشرق يجلون ابن عباس عن طريق تلميذه ومولاه أبى عكرمة^(١) .

وعندما بدأت الدعوة العباسية سنة ١٠٠ هـ اتخذت لها خلبتين رئيسيتين ، إحداهما فى العراق ، والثانية فى خراسان وكان أبو عكرمة السراج أحد القادة الثلاثة الذين وكلت إليهم رئاسة الخلية الخراسانية ، ولقبه العباسيون " بأبى محمد الصادق" مما يدل على ثقتهم الكبيرة فيه . وأوكل إليه صاحب الدعوة محمد بن على العباسى اختيار النقباء الاثنى عشر ، فاختار من بينهم أربعة من الموالى هم : عمران بن إسماعيل أبو النجم مولى آل أبى معيط ، وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة ، وشبل بن طهمان أبو على الهروى مولى بنى حنيفه ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ، واختار لهؤلاء النقباء سبعين رجلا يأترون بأمرهم^(٢)

(١) د . حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ١٢

(٢) الطبرى ٨ / ١٣٦ ، ابن الأثير ٤ / ١٥٩ ، ابن خلدون ٥ / ٢١٤ .

وكان أبو عكرمة همزة الوصل بين العباسيين في مقرهم بالحميمة وخلية الدعوة الموجودة في خراسان ، وكان ذا مكانة عظيمة لدى قادة الدعوة ، مطلعاً على أسرارهم ، فقد حضر مولد عبد الله بن محمد ، الذي لقب فيما بعد بأبي العباس السفاح ، في ربيع الآخر سنة ١٠٤ هـ ، وكان بصحبته عدة من أصحاب القادمين معه من خراسان ، فقال لهم محمد بن علي العباسي مشيراً إلى ابنه الوليد وله خمسة عشر يوماً : " هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يده " (١)

ولم يكن دور الموالى مقصوراً على الخلية الخراسانية ، بل كانوا يشاركون بنصيب وافر في الخلية العراقية ، وتولى قيادتها واحد منهم هو ميسرة العبدى مولى علي بن عبد الله بن العباس ، ثم تسلم زمامها من بعده بكير بن ماهان ، الذي كان قبل ذلك يعمّل ترجماناً لدى قادة جيوش المسلمين في السند ، وعندما رجع إلى الكوفة سنة ١١٥ هـ التقى بقادة الدعوة هناك ، ومنهم أبو عكرمة وميسرة ، فأقتعوه بالانضمام إليهم ، وكان ذلك كسباً كبيراً للدعوة ، لأنه كان على قدر كبير من الثراء ، فلم يبخل بما يملك من أجل الدعوة ، وكان معه لبنة من الذهب وأربع لبنات من الفضة فأنفقها كلها في سبيلها . (٢)

وزاد نشاط الخلية الخراسانية بانضمام داعيين نشطين من الموالى هما زياد أبو محمد مولى همدان ، وحرب بن عثمان مولى بنى قيس

ابن ثعلبة ، وأصبح لها مركزان في بلخ ومرو ، ونشط زياد في نشر الدعوة ، واستخدم أساليب متعددة لتأليف القلوب وترغيبهم فيها فكان يتودد إلى الناس ويقربهم إليه ويظهر لهم كرمه وسخاءه ويطعمهم الطعام ، كما أنه بذل جهوده لتحويل ولاء الشيعة من العلويين إلى العباسيين ، ودخل من أجل ذلك في مناظرة مع رجل من أبرشهر^(١) يسمى غالبا ، كان من المفرطين في حب أبناء فاطمة كما كان زياد يثير الناس ضد بني أمية ، فيصف حكمهم بالظلم ، وينال سيرتهم بالسوء ، وعرضه ذلك إلى عقاب والي أسد القسرى الذي حذره عدة مرات فلم يرع ، فأمر في النهاية بقتله مع جماعة من أصحابه سنة ١٠٩ هـ^(٢) .

وتولى قيادة الخلية الخراسانية داعية من أهل الكوفة يسمى كثيرا ، كان يقيم في دار أبي النجم سالف الذكر وقد يكون أبا الداعية سليمان بن كثير وكان أميا ، لا يعرف القراءة والكتابة .

وعقب ذلك تعرضت الخلية لمحن قاسية ، من عمال بني أمية ، ومن بين أعضائها أنفسهم ، ففي سنة ١١٧ هـ أشد والي أسد القسرى في تعقب خيوطها ، والبحث عن أعضائها ، ووقع في يده كثير منهم ، فقتل بعضهم وعذب بعضهم ، ولم ينج من قبضته إلا اليمنية من أبناء عصبته ، والرابعة حلفاءهم ، ودفعه الميل لهم أن يصدق دفاعهم عن أنفسهم بأنهم تجار لا شأن لهم بالدعوة ، وأنهم ضحية وشاية مغرضة من أعدائهم المضرة .^(٣)

(١) أبر شهر اسم من أسماء مدينة نيسابور (ياقوت ١ / ٦٥ ، ٥ / ٣٣١)

(٢) الطبرى ٨ / ١٩٣ ، ١٩٤ (٣) ابن الأثير ٤ / ٢٢٢

وفي السنة التالية ١١٨ هـ ظهرت محاولة من داخل الخليفة
للا انحراف بها عن مسارها ، وتحويلها لخدمة دعوات هدامية ،
ونحل فارسية قديمة ، وذلك عندما خُدِعَ كبيرُ الدعاة بكيرُ بن ماهان
في واحد من أصحاب هذه النحل وهو عمار بن يزيد فولاه قيادتها
فنزل مرو ودعا إلى مذهب الخرمية ، والإباحية ، وإسقاط العبادات
ورخص لبعض أتباعه في النساء ، وأول الصوم بأنه الإمساك عن ذكر
الإمام ، فلا يذاع اسمه ، والصلاة بالدعاء له ، والحج بالقصد إليه
وتأول الآية الكريمة : " ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح
فيما طمعوا ، إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات " ^(١) .

وسُمِّيَ هذا المَدْعَى بخَدَّاش ، وقيل إن الذي أطلق عليه هذا
الاسم هم الرافضون لدعوته لأنه خدش الدين ، وكان أصله نصرانياً
من الكوفة ، ثم تظاهر بالإسلام ، ولحق بخراسان ، وانضم إلى
الدعوة ، وكان تأثيره خطيراً ، لأنه أستطاع أن يجذب إليه عددًا
من زعماء الخلية منهم مالك بن الهيثم ، والحريش بن سليم الأعجمي
وغيرهما ، وزعم لهم أنه يفعل ذلك تنفيذاً لأمر صاحب الدعوة
محمد بن علي العباسي .

وانتهى أمره بأن قبض عليه والي أسد القسري ، ويبدو أن ذلك
تم بوشاية من أعضاء الخلية المنكرين لدعوته ، وأمر والي بقتله
وصلبه مع جماعة من أتباعه ، وقال : " الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر

الطبري ٨ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ابن الأثير ٤ / ٢٢٤ ، ابن خلدون ٥ / ٢١٦

وعمر منك"، مما يشير إلى أنه كان أيضا يخوض في أمر الشيخين رضى الله
عنهما ، وينتقص منهما^(١) .

وأثر هذا العمل على نشاط الخلية ، فأصابها الشلل ، وبقيت
فترة من الزمن فى عزلة عن القيادة العباسية بالحمية ، ويبعدو
أن محمد بن على امتنع عن مكاتبتهم بعد هذه المحن خوفا من
افتضاح أمر التنظيم السرى كله ، بعد وقوع بعض أفراد الخلية فى يد
الوالى الأموى ، وغضباً على أعضائها الذين سمحوا لهذا المدعى
أن يظهر بينهم ويشدد أمره .

ولكن المخلصين من أعضاء الخلية سارعوا إلى الاتصال بالقيادة
لتوضيح موقفهم وإعلان براءتهم مما وقع ، واستمرارهم على الولاء
والالتزام فأسرعوا زعيمهم سليمان بن كثير الخزاعى (الذى كان
من النقاء الاثنى عشر ثم أصبح رئيسا لهم) إلى محمد بن على
ليعلموه أمرهم ، ويعرفوا سبب تركه مكاتبتهم ، فلما وصل رسولهم
عنه محمد بن على وأرسل معه كتابا مختوما إلى أعضاء الخلية ، فلما
فضوه لم يجدوا فيه الا البسمله ، فأحسوا بالندم ، وعلموا مخالفته
خداش لأمره ، ثم أرسل اليهم بعد ذلك بكير بن ماهان ، فلم
يصدقوا أنه موفد من عنده ، وطلبوا منه اليه ، فقدم لهم علامته
متفقا عليها ، وهى عصا مضربه بالحديد والنحاس ، فلما رأوها
علموا صدقه وتابوا وراجعوا ، وعادت الخلية إلى ممارسة نشاطها
الأول سنة ١٢٠ هـ^(٢) .

(١) الطبى ٨ / ٢٢٩

(٢) ابن الأثير ٤ : ٢٣٥

وكانت الخلية الخراسانية تمتد القيادة العباسية بالمال الذي تستعين به ، وكان داتها يحملون قدرا كبيرا منه الى الامام^(١) عند ما يلتقون به في مكة في موسم الحج

في مرحلة العمل المسلح :

في سنة ١٢٤ هـ بدأ الاستعداد لطور جديد من أطوار الدعوة العباسية وهو الانتقال الى مرحلة العمل المسلح ، ومواجهة بنى أمية ، بعد أن تهيأ المناخ بايجاد قاعده شعبيه كبيرة مؤيده من أهل خراسان والعراق ، وأهتز عرش بنى أمية بسبب ما اعتوره من صراعات داخل البيت الحاكم وما أندلع حوله من ثورات وفتن ففى الشام والجزيره ، وتصدع القوة العربيه الموجوده فى خراسان نتيجة الصراعات العصبية التى وصلت أوجها فى حركة الكرمانى وثورة الحارث بن سريج ، وقد اختارت القيادة العباسيه لهذه المرحله أحد الموالى الايرانيين ، وهو أبو مسلم الخراسانى ، الذى تختلف الروايات فى نسبه وأصله ، ولكنها تلتقى جميعا على أنه من أصل^(٢) أيرانى

نشأ أبو مسلم فى ظل الدعوة ، وتغذى بلبانها ، فقد كسان أبوه من رجالها ، وكفله بعد وفاة أبيه أحد دعاة العباسيين وهو

(١) المصدر السابق ٤ / ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢
(٢) ارجع فى ذلك الى الروايات التى ذكرها ابن الاثير ٤ / ٢٥٢ ، وهناك قول ضعيف رفضه المؤرخون وهو أن أبا مسلم من ولد من ولد سليط بن عبد الله بن العباس .

عيسى بن موسى السراج ، وحمله معه الى محل أقامته بالكوفة عند ما كان في السابعة من عمره ، وعند ما شب اتصل بابراهيم الامام فأسماه عبد الرحمن بمسلم وكناه بأبي مسلم ، وزاد ارتباطه بالدعوة مصاهرته للداعية أبي النجم ، فتزوج من ابنته بأمر من ابراهيم الامام ، وهكذا أصبح ابو مسلم ابن الدعوة العباسية منشأ وفكرا ومصاهرة^(١) .

وكان العباسيون حريصين على اعداد أبي مسلم ومدومة الاتصال به ، وفي سنة ١٢٥ هـ كان من بين دعاة خراسان الذين سمح لهم بالالتقاء بصاحب الدعوة ابراهيم بمحمد في مكة ، والتعرف على شخصه ، وتم خلال هذا اللقاء توحيد العمل بين خليتي الدعوة العراقية والخرسانية ، زأسندت القيادة لأحد الموالى الإيرانيين وهو أبو مسلمة الخلال ، وهو حفص بن سليمان ، وكان مقره الكوفة^(٢) .

وعند ما أقتربت ساعة التنفيذ أسند ابراهيم الامام قيادة الدعوة في خراسان الى أبي مسلم ، ووجهه اليها سنة ١٢٨ هـ ، وكان في التاسعة عشرة من عمره ، ومنحه سلطات واسعة ، وكتب بذلك الى أصحابه يأمرهم بالالتزام بطلعته قائلا : " انى . قد أمرته بأمرى فأسمعوا له وأطيعوا ، فانى قد أمرته على خراسان ، وماغلب عليه بعد ذلك " وعند ما ظهر من بعض قادتهم التردد في طلعه بسبب حداثة سنه وخوفهم ألا يستطيع القيام بالامر ، استدعاهم ابراهيم الامام الى مكة

(١) ابن الأثير ٢٥٢ / ٤

(٢) المصدر السابق ٢٩١ / ٤

وأمرهم بالسمع والطاعة له ، ورفع من قدره وأعلى من شرفه امامهم
فقال له : " انك رجل منا آل البيت " ، وزودته بنصحه وتوجيهاته^(١)

وحانت ساعة التنفيذ في سنة ١٢٩ ، وكثر الاتصال الشخصي بين
أبي مسلم وابراهيم الامام ، ثم جاءه كتابه يأمره بكشف النقاب واشهار
السيف ، فأتخذ ابو مسلم من قرية فنين^(٢) قرب مرو مركزا لعملياته
العسكرية ، ونزل في دار أحد الموالى وهو أبو الحكم عيسى بن أعين
الفنيني مولى خزاعه ، كما اتخذ أخاه بديل بن أعين خازنا لبيت
ماله ، ومنها بث الرسل في انحاء خراسان يدعوهم للتجمع تحت
رايته^(٣) .

وقد أحسن أبو مسلم اختيار ساعة البدء ، حيث كان الوالى نصر
ابن سيار مشغولا في قتال عنيف مع الخوارج الذين يتزعمهم شيبان
الحرورى ، وتجمع حوله في ليلة واحدة أنصار الدعوه من ستين قرية
وفي رمضان من نفس السنة بدأ هجومه الواسع النطاق ، رافعا للواءين
اللذين أرسلهما اليه ابراهيم الامام ، وهما " الظل " و " السحاب " ،
ولبس السواد شعار العباسيين ، وسارع الإيرانيون من كل صوب
ينضمون اليه بالالاف ، فاتخذ من حصن اسفيذخ قاعده لـه ،
وقام بترميمه وتقوية أسواره .

(١) المصدر السابق ٢٩٥ / ٤ ، ٣٠٢ ،
(٢) بالفتح ثم الكسر وياء ساكنه ونون ، وأهلها يقولون فنى بغير نون
(يا قوت ٢٧٨ / ٤) .
(٣) يا قوت ٢٧٩ / ٤

وأمر أبو مسلم بتحويل الشعائر الدينية لتوافق مذهب الدعوة
فأمر أن تكون صلاة العيد قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ، وأن
يكون عدد التكبيرات في الركعتين سبعة وخمسا خلاف ما استقر عليه
الأمر منذ عهد عثمان رضي الله عنه ، وما كان عليه بنو أمية .^(١)

ونجح أبو مسلم في مواجهة التكتل العربي الذي كاد أن ينعقد
ضده ، فتد أحس العرب أن هذه الثورة فيها تهديد لسلطانهم ،
وأوجسوا خيفة من اجتماع الفرس حولها ومناصرتهم لها ، يقول ابن
الاثير " وتعاقدت عامة قبائل العرب بخراسان على قتال أبي مسلم"
ولكن أبا مسلم عرف كيف يفسد هذا التجمع العربي ، فأوقع أولا بين
المضريه واليمنيه ، وأيقظ العصبية النائمة ، ثم أستطاع في المرحله
التاليه أن يوقع بين اليمنيه والرابعيه ، وضاعت صيحات الوالى المضرى
نصر بن سيار في التحذير من الفرقة والدعوه الى الوحدة والتآزر
سدى ، وتمكن أبو مسلم فى النهاية من ضرب الفرق العربيه
الثلاث ودخول مرو ظافرا سنة ١٣٠ هـ ، وبدأ يمارس سلطاته كنائب
عن العباسيين ، ويعين العمال والنواب ، حتى صارت خراسان
كلها فى يده ، وتوج قائده قحطبه بن شبيب - وهو عربى من طيىء
هذه الجهود بدخول نيسابور ، ثم الزحف على العراق^(٢) .

(١) ابن الاثير ٤ / ٢٩٩

(٢) ابن الاثير ٤ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٣

وكان من مساعدي أبي مسلم وقحطبة بن شبيب كثير من القسادة الذين تدل أسماءهم المنسوبة إلى بلادهم على أنهم من الموالي الإيرانيين مثل أبي العباس المروزي ، وأبي عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ، ومالك بن طرافة الخراساني^(١) .

وإذا كان الدور الإيراني - كما ذكرنا - واضحاً بارزاً في الثورة العباسية في جميع مراحلها وأطوارها ، فلا يمكن أن ننساق مع الاتجاه القائل باعتبارها انقلاباً فارسياً ضد السيادة العربية وثورة إيرانية ضد العنصر العربي ، لأن الثورة العباسية لم تقم إلا في ظل قيادة عربية ، وبتخطيط عربي لخدمة أهداف فريق من العرب هم العباسيون ولم يُسمح للفرس بتحقيق شيء من المكاسب إلا برضاهم وموافقتهم - لأنهم رأوا أن يعطوهم كما يأخذون منهم .

وشارك في الدعوة منذ نشأتها دعاة من العرب كانوا يشكلون الركن الأساسي في خليتي الدعوة في خراسان والعراق ، وكان من بين النقباء الاثنى عشر أربعة فقط من الموالي ، والباقيون من العرب من قبائل متعددة^(٢) ، وقاتل تحت راية أبي مسلم عدد كبير من العرب اليمنية ، وكان قحطبة الطائي من أبرز القادة الذين انتزعوا النصر للعباسيين . (٣)

(١) المصدر السابق ٣١٩ / ٤

(٢) انظر أسماء هؤلاء الدعاة في ابن الاثير ١٥٩ / ٤ ابن خلدون

٢٦٣ / ٥

(٣) ابن الاثير ٣٢١ / ٤ ، ٣٢٢ ، ابن خلدون ٢٦٩ / ٥

ويجب أن نلاحظ أن ماورد على ألسنة قادة الدعوة العباسية من أن شيعتهم وأنصارهم هم أهل خراسان^(١) يقصد به سكان خراسان عرباً وإيرانيين .

وبعد انتصار الدعوة ظلت القيادة في أيدي العرب ، وبقي معظم الولاة والعمال من العرب خلال القرن الأول من العصر العباسي ولم يُسمح للتقدم الفارسي أن يتجاوز الحدود التي سمحت بها القيادة العربية ، التي تصدت بكل قوة لكل من حاول أن يتخطاها مثل أبي سلمة الخلال ، وأبي مسلم الخراساني ، والبرامكة .

ولم يكن العصر العباسي عصر تقدم للإيرانيين وحدهم ، ولكنه شهد تقدم كثير من العناصر الأخرى التي دخلت في الإسلام مثل الأتراك ، والبربر ، مما ينفى عنه الصفة الفارسية .

وإذا كانت الدعوة العباسية قد اعتمدت في نجاحها على جهود الفرس بدرجة كبيرة ، ووجدت تأييداً من العناصر الإيرانية ، فإننا نسجل أيضاً أن هذا الموقف لا ينسحب على جميع الإيرانيين ، فقد وقف فريق منهم موقف المعارضة من قيام الدولة العباسية وأبدى تمسكه بالحكم الأموي ، ومنهم أهل الرى الذين قال عنهم ابن الأثير^(١) ولما استقر أمر بني العباس بالرى هرب أكثر أهلها لميلهم إلى بني أمية لأنهم كانوا سفيانية ، فأمر أبو مسلم بأخذ أملاكهم وأموالهم .

ورفض صاحب ديباوند^(١) المسمى " المصمغان " دعوة أبي مسلم وكتب إليه : " إنما أنت خارجي ، وإن أمرك سينقضي " ، وقاوم بقوة الجيش الذي وجهه إليه أبو مسلم بقيادة موسى بن كعب ، وظل يدفع برجاله من الديلم لقتاله كل يوم ، ولم يزل ممتنعا إلى أيام أبي جعفر المنصور ، فأغزاه جيشا كثيفا ففتح بلاده^(٢) .

ولقيت جيوش أبي مسلم مقاومة عنيفة من أهل نهاوند ، وكان فيها كثير من العرب الخراسانيين والشاميين ، فقبل الشاميون المصالحة وأبى الخراسانيون إلا المقاومة حتى النهاية ، وظل العباسيون محاصرين لهم ثلاثة أشهر من سنة ١٣١ هـ (٣)

وفي سنة ١٣٤ خلع زعيم خراساني يدعى بسام بن إبراهيم طاعة العباسيين ، وانسلخ مع أصحابه عن الجيش العباسي^(٤) .

وواجه العباسيون مقاومة مماثلة من سكان ماوراء النهر ، وهم لغة ودما من العناصر الإيرانية ، وتمرد عليهم أهل بخارى ، وقال زعيمهم شريك بن شيخ المهرى : " ما على هذا اتباعنا آل محمد ، أن تُسفك الدماء ويُعمل بغير الحق " واتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفا^(٥) .

-
- (١) ديباوند بضم أوله وسكون ثانيه ، وتسمى أيضا ديباوند بفتح أوله وضمه ، وديباوند بالميم ، كورة من كور الري بينها بين طبرستان ، وفي وسطها جبل شديد الارتفاع (ياقوت ٢ / ٤٣٦ ، ٤٧٥)
- (٢) ابن الأثير ٤ / ٣١٨ (٣) الطبري ٩ / ١١٣
- (٤) الطبري ٩ / ١٤٨ ، ١٤٩
- (٥) ابن الأثير ٤ / ٣٤٢

وتحصن ملك الختل ابن الشبل وجماعة من الدهاقين والشاكرية
عندما دخلت جيوش العباسيين بلادهم ، فلما ضعفت مقاومتهم
فروا إلى بلاد الترك^(١).

وحفل العصر العباسي بحركات معارضة من جانب الإيرانيين
لا تقل خطراً عما ظهر من معارضتهم للحكم الأموي مثل ثورة المقنن
الخراساني ، وسنباذ ، والنزط ، والخرمية ، وغيرها .

(١) ابن الأثير ٣٤٢/٤ ، الطبري ١٤٨/٩

الفصل السادس

مركات المعارضة التي تبنت مطالب الإيرانيين

المعارضة الإيرانية - العراقية للحكم الأموي :

ارتبط الموقف الإيراني من الحكم الأموي إلى حد كبير بالموقف العراقي ، للصلة الوثيقة بين الإقليمين - كما سبق أن تحدثنا في بداية هذا البحث - فقد دخل الإقليمان في طاعة الأمويين ، وارتباطهم ، وساهما في تدعيم حكمهم والدفاع عن سلطانهم بالتصدي لكثير من حركات المعارضة ، والمشاركة في الفتوح في المناطق الثغرية المجاورة ، والتعاون مع ولاية بني أمية وعمالهم ولكن هذه الطاعة لم تكن كاملة خالصة ، وإنما كانت طاعة على دخن ، يكمن تحت رمادها الساكن كثير من الجذوات المتأججة التي يسهل أن تشتغل من جديد إذا هبت عليها الريح .

لم يكن من السهل على هذه الجبهة أن تتناسى أن قيام دولة بني أمية كان نتيجة مالحق بها من هزيمه سياسية وعسكرية ، وأن انتقال العاصمة من الكوفة إلى دمشق ، وتقديم أهل الشام عليهم باعد بينهم وبين الصفوف الأولى ، وعبر الشاعر^(١) عن هذه الحقيقة بقوله :

أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهونا

وبقى كثير ممن دخل في طاعة الأمويين على حبهم للعلويين ورفضوا أن ينال الأمويون سيرتهم بسوء ، ومنهم الأحنف بن قيس الذي ثار على معاوية وأهل الشام ، وأنذرهم بالشر^(٢)

(١) كعب بن جعيل (انظر الأخبار الطوال للدینوری ص ١٦٠)

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٨/٤

وكان بنو أمية يعلمون حقيقة موقف الجبهة الإيرانية العراقية ويحاولون مداراة العراقيين باللين والمال ، ولذا نصح معاوية ابنه يزيد قبل وفاته بقوله : " وانظر أهل العراق ، فان سألك عزل عامل في كل يوم ، فاعزله عنهم ، فإن عزل عامل في كل يوم أهون عليك ممن سل مائة ألف سيف ، ثم انظر إلى أهل الشام ، فاجعلهم الشعنار دون الدثار ، فان رابك من عدوك ربب فارمه بهم . . " (١)

وكان عمال بنو أمية يبذلون المال ليسكنوا الفتنة ويطفئوا نار الشنآن ، ومنهم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد الذي قال للخليفة عبد الملك بن مروان مدافعاً عن نفسه عندما اتُّهم بأنه كسر خراج العراق : " استعملتني على العراق وأهله رجلاً ، سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح ، فأما السامع المطيع المناصح ، فإننا جزيناه ليزداد ودّاً إلى وده ، وأما المبغض المكاشح فإننا داريناه ضغينته ، وسللنا حقدّه ، وكثرنا لك الموده في صدور رعيّتك " (٢)

وقد اجتمعت عدة عوامل على توحيد هذه الجبهة الشرقية (إيران والعراق) في شعورها العدائي لبني أمية ، وهي ميولها العلوية التي أصبحت جزءاً من تاريخهم وتكوينهم ، فكانوا يعتبرون الفترة التي حكمهم فيها علي بن أبي طالب عهدهم الذهبي ، ورمز عزهم ومجدهم وزعامتهم السياسية ، وترتب على هذا أيضاً كراهيتهم لأهل الشام الذين سلبوهم هذه المكانة ، وتقدموهم في مراتب السيادة ، وفضلوهم

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ١٣١

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤ / ٢٤

في العطاء والفيء ، وقد أوضح الطبرى^(١) جانباً من ذلك فقال :
 " كان أهل الكوفة (في سنة ٦٥ هـ) يطالبون بسيرة علي بن أبي طالب
 في توزيع فئتهم عليهم ، وألا يقسم إلا فيهم ، ولا يرضون بحمل فضل
 فئتهم إلى أحد " .

وكان هذا الموقف المعارض والشعور العدائي المستكن في
 النفوس دفع العراقيين والخراسانيين إلى التقاعس وعدم الحماس من
 الدفاع عن النفوذ الأموي في كثير من الأحيان ، وظهر ذلك في
 مواجهتهم لثورة الخوارج سنة ٧٧ هـ بقيادة شبيب الحروري ، مما
 جعل الحجاج يعلن غضبته عليهم ويقول لهم : " لا أراكم تناصحون في
 قتال هؤلاء القوم بأهل العراق ، اني كاتب إلى أمير المؤمنين
 ليمدني بأهل الشام " ^(٢) .

وتكرر مثل ذلك في خراسان عند مواجهة ثورة الحارث بن سريج
 سنة ١١٦ هـ حتى قال والي خراسان عاصم بن عبد الله : " يا أهل
 خراسان قد بايعتم الحارث بن سريج لا يقصد مدينته إلا اخلتتموها
 له ، اني لاحق بأرض قومي أبرشهر ، وكاتب منها إلى أمير المؤمنين
 حتى يمدني بعشرة الاف من أهل الشام " ^(٣) .

وكان الخراسانيون والعراقيون عرباً وإيرانيين يشعرون إلى
 حد كبير أنهم جبهة واحدة ، يجمعهم وطن واحد ، وتوالت بينهم
 مواقف عديدة مشتركة ، وكانوا يعتزون بهذه الرابطة ، ويرون أنها
 تعطيهم القوة في مواجهة أهل الشام حتى يمكن أن نقول أنه ظهر

(١) تاريخ الأمم والملوك ٩٥ / ٧

(٣) المصدر السابق ٨ / ٢٢٠

(٢) الطبرى ٢٥٢ / ٧

لديهم نوع من الشعور القومي أو الإحساس بالانتماء ، ولكن العصبية والصراعات كانت تحول دون نمو هذا الشعور وبلوغه غايته .

ويتضح ذلك في حديث الأحنف بن قيس إلى مختلف القوي العربية في العراق وإيران إذ قال لهم : " يا معشر الأزد وربيعة أنتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الصَّهر ، وأشقاؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو . . " (٢)

وكان أول من حاول إحياء هذه النعرة واستثمارها في الدعوة لنفسه عبيد الله بن زياد عندما دعا أهل العراق لمبايعته سنة ٦٦٠م فقال لهم : " يا أهل البصرة انسبوني ، فوالله لتجدوني مهاجر (في الأصل أهاجر) والدي ومولدي فيكم ، وداري . . . وان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي ، وقد اختلف أهل الشام ، وأنتم أكثر الناس عدداً ، وأعرضه فناءً ، وأغناه عن الناس ، وأوسع به بلاداً ، فاخاروا لأنفسكم رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم . "

وكانت ثورة ابن الأشعث - كما سنذكر بعد قليل - تمثل المعارضة العراقية الإيرانية بكل طوائفها ، ولذلك كان الخليفة عبد الملك يقول أثناء ذلك : " إن أهل العراق طال عليهم عمري ، فاستعجلوا قدرى ، اللهم سلط عليهم سيوف الشام حتى يبلغوا رضاك . . " (٣)

وحاول قتيبة بن مسلم أن يستغل هذا الموقف لمصلحته أثناء ثورته

(١) ابن عبد ربه ٤ / ١٣٤

(٢) الطبري ٧ / ١٨

(٣) الطبري ٨ / ١٠

على الخلافه فقال : حتى متى ينبطح أهل الشام بأفنيتم وظلال
دياركم ، يا أهل خراسان ، انسوني تجدوني عراقى الأم والاب ، عراقى
المولد ، عراقى الهوى والرأى والدين^(١)

واتبع يزيد بن المهلب نفس السبيل ، فجمع أهل البصرة ، ودعاهم
إلى قتال أهل الشام ، وزعم أن قتالهم أعظم أجراً من جهاد الترك
والديلم^(٢) ، وكان يدعو الناس إلى مبايعته على عدة مبادئ منها^(٣)
" ألا تطأ الجنود بيضتنا ، ولا يُعاد علينا سيرة (الفاسق) الحجاج^(٣)

فلا غرو - بعد ذلك - أن تكون الجبهة المشرقية التى تضم العراق
وايران ، الميدان الأرحب للمعارضة ، والحقل الخصب الذى يقصده
كل مناوى ومناهض ، وتنطلق منه الثورات التى أرقت الحكم الأموى
طوال عهده .

(١) المصدر السابق ٨ / ١٠٥

(٢) نفس المصدر ٨ / ١٤٩

(٣) الطبرى ٨ / ١٥٢

ثورة ابن الأشعث

التجمع العراقي الإيراني في هذه الثورة :

بدأت ثورة ابن الأشعث من صفوف الجند الخراساني الموجودة في سجستان بأقصى الشرق ، لكنها ما لبثت أن امتدت واتسع نطاقها لتشمل الميدان المشرقي بمختلف تياراته واتجاهاته ، واجتاحت إيران والعراق حتى كادت أن تزلزل عرش بني أمية ، لولا اصطدامها بالقوة الشامية التي يعتمد عليها ، واستطاعت أن تقف كالصخور الصلبة لتصد هذا السيل الجارف .

لم يكن بدور بخلد الحجاج بن يوسف الثقفي أن الجيش العظيم الذي وجهه إلى سجستان سنة ٨٠ هـ ، مؤملاً من ورائه النصر والمجد والذي سُمّي بجيش الطواويس لقوته وكمال عدته ^(١) ، سينقلب سلاحاً ضده ، ويصبح سيفاً موجهاً إلى صدره .

وبدأت الثورة بتمرد عسكري ألهيته روح التذمر والسخط بين الجند الذين يحاربون في هذا الثغر النائي لسوء معاملة القيادة العليا لهم ، دون أن تدري شيئاً عن مشاكلهم أو تهتم بإصلاح أحوالهم ومعرفة مطالبهم ، وقد انقطعوا في هذا الثغر النائي عن أهلهم وديارهم ، وطالت غربتهم ، وكلَّت سيوفهم ، وبدلاً من أن تفكر في التخفيف عنهم ، اتجهت إلى زيادة أعبائهم ومضاعفة

همومهم ، فأمر الحجاج بتجميرهم ، واتهم قائدهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالتخاذل ومهادنة العدو ، وأظهر نيته في توطيئهم في هذا الثغر القصي ، وحرمانهم من العودة إلى أوطانهم ورؤيته أحبهم ، وكتب الحجاج إلى ابن الأشعث : " كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ، ويستريح إلى المواجهة ، قد صانع عدواً قليلاً ذليلاً . . " واتهمه بالضعف وسوء الرأي ، وأمره بسرعة التوغل في أرض العدو ، ثم أرففه كتاباً آخر قال فيه : " مُر من قبلك من المسلمين فليحرثوا ولبقيما فإنها دارهم حتى بفتحها الله عليهم " ، وتوالت كتب الحجاج مهددة متوعدة تصب الغضب والنقمة على ابن الأشعث ومن معه .

عندئذ ثارت ثائرة الجند ، وجمع ابن الأشعث رجاله ، وعرض عليهم الموقف ، وسألهم الرأي ، وأحس الجند أن الحجاج لا يعنيه إلا النجاح ولو وصل إليه على رقابهم ، وقال بعضهم : " إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وحرمكم تجمير فرعون الجنود ، فإنه بلغني أنه أول من جمر البعوث ولن تعاينوا الأحية فيما أرى ، أو يموت أكثركم " . واجتمع أمرهم على الثورة ومبايعة ابن الأشعث على النصرة والطاعة ، وخلع الحجاج من أرض العراق (١) .

وسرعان ما اتسع نطاق الثورة ، وتحولت من نقمة على الحجاج إلى ثورة على الحكم الأموي كله ، وبلغ الثائرون في زحفهم إقيلم فـأسـسـوا واجتمعوا فقالوا : " إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك ، فقد

خلعنا عبد الملك" فقام بعضهم وقال : " إني خلعتك كخلعي قميصي هذا" ، وبايعوا ابن الأشعث بيعة جديدة " على كتاب الله وسنة نبيه ، وخلع أئمة الضلالة ، وجهاد المحليين " ، وقال رئيسهم ابن الأشعث : " وأما الحجاج فليس بشيء " ، ولكننا نريد غزو عبد الملك " .

وكان أنصار الثورة والمنضمون إليها يتزايدون باستمرار ، كلما مروا بقوم انضموا اليهم ، ومنهم أربعة آلاف من أهل العراق كانوا في فارس ، وعندما وصلوا إلى البصرة في ذي الحجة سنة ٨١ هـ بايعهم جميع أهلها .^(١)

وأنضمت إلى الثورة جماعات كثيرة واتجاهات متعددة ، ولكل منها هدف ومأرب ، لكنها تلتقى جميعاً على عداوة بني أمية ، وتتضافر لتجعل من هذه الثورة التي بدأت بحركة عصيان عسكري ، ثورة سياسية واجتماعية متعددة الدوافع والغايات .

فاليمينيون الذين ناصرُوا هذه الثورة ، رأوا فيها انتصاراً لهم على القيسية ، وبخاصة أن قائد الثورة ينتمي إليهم ، ولذلك كانوا أسبق الناس إليها كما يقول الطبري^(٢) : " وسبقت إليه همدان " ، وعبر الأعشى الشاعر عن ذلك في أبيات قال فيها " أمكن ربي من ثقيف همدان "^(٣) ، ووقف ابن الأشعث معترضاً على استئثار قريش بالخلافة

(١) الطبري ٨ / ٩ - ١١

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٨ / ١٤

(٣) ابن الأثير ٤ / ٧٨

والحكم فقال : "إن يكن هذا الأمر في قريش فعني فقئت بيضة قريش^(١)
وإن يك في العرب فأنا ابن الأشعث ومد بها صوته يسمع الناس^(٢).

ودخل في نطاق الثورة بعض العلويين وأشياعهم ، وعند ما أقبل
ابن الأشعث على البصرة تشجع أهلها وبايعوا أحد الهاشميين وهو
عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقاتلوا
الحجاج خمس ليال أشد قتال ، ثم لحقوا بابن الأشعث ، فولى هذا
الهاشمي على ميمنته^(٣) ، وكان يحارب تحت راية ابن الأشعث عدد
من القراء الذين حاربوا من قبل تحت راية علي بن أبي طالب مثل
عبد الرحمن بن أبي ليلى الذي كان يحرض أصحابه على القتال ،
ويذكرهم بكلمات على يوم عذين^(٤)

وظهر الجانب الاجتماعي في هذا الثورة ، بانضمام طائفة القراء
والفقهاء ، الذين كانوا يطالبون بتطبيق المبادئ الإسلامية كاملة
وتحقيق المساواة بين العرب والموالي ، وكانوا يشكلون كتية كاملة
في جيش ابن الأشعث عرفت باسمهم ، وكانوا من أشد الناس على
الحجاج حتى أنه خصص لمواجهتهم في واقعة دير الجماجم ثلاث
كتائب ، ومنهم عامر الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وأبو البختري
الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى سالف الذكر ، ورجل من الأزد

(١) كذا في الطبري ، وفي ابن الأثير "فمني تقويت بيضة قريش" والمعنى
غير واضح ، وذكر الناشر في هامشه أن النصوص "تقشرت بيضه
قريش" أي تخلصت منها ، كما يتخلص الفرخ من البيضة .

(٢) الطبري ٨ / ١٦ ، ابن الأثير ٤ / ٨٢

(٣) الطبري ٨ / ١٣ ، ١٧

(٤) الطبري ٨ / ١١

له صحبة، يسمى عقبة بن عبد الغافر (١)

وهكذا تعددت الروافد التي تصب في هذه الثورة، واكتمل التجمع العراقي الإيراني تحت لوائها بانضمام الموالي الإيرانيين إليها، وهو ما سنتحدث عنه في المبحث التالي.

دور الموالي الإيرانيين في هذه الثورة:

لم يهتم كثير من الباحثين بإبراز دور الموالي في ثورة ابن الأشعث. بل إن بعضهم اتجه إلى إنكار هذا الدور، يقول الدكتور نبيل عاقل (٢) تحت عنوان "رأى في ثورة ابن الأشعث": "إننا لانجد في الطبري ولا في غيره من المصادر ما يشير إلى أن الموالي كانوا سبب ثورة ابن الأشعث، أو أنهم الذين أحدثوا الفتنة".

وحقيقة لم يكن دور الموالي واضحاً في المرحلة الأولى من اندلاع الثورة، عندما كانت مجرد تمرد من الجند، ولا تعبر إلا عن مطالب فئة العسكريين، ولكن دور الموالي يظهر بوضوح في المرحلة التالية والحاسمة من الثورة عندما امتدت إلى العراق ودخلت البصرة وصحيح أن المصادر لم تلح على إبراز هذا الدور، ولكنها أيضاً لم تهمله وأشارت إليه إشارات موجزة لكنها بالغة الأهمية، ولا يجب أن تغفل من أيدي الباحثين، أو يمروا عليها مرور الكرام.

(١) المصدر السابق ١١/٨

(٢) تاريخ خلافة بني أمية ص ١٨٠

كان دور الموالي في هذه الثورة ذا جانبين ، أولهما أنهم كانوا عنصرًا محركًا ودافعًا لطائفة القراء والفقهاء الذين أغضبهم وأثارهم ما وقع لهؤلاء الموالي من مظالم في عهد الحجاج ، اعتبروها منافية لمبادئ الدين ، عندما أمر بردهم إلى قراهم ، ووسمهم على أيديهم ، وحرّمهم من المشاركة في الجندية والعطاء ، يقول ابن الأثير^(١) : "إن عمال الحجاج كتبوا إليه إن الخراج قد انكسر ، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ، فكتب إلى البصرة وغيرها إن من كان له أصل من قرية فليخرج إليها ، فأخرج الناس لتوخذ منهم الجزية ، فجعلوا يكون وينادون : يا محمداه يا محمداه ، ولا يدرون أين يذهبون ، وجعل قراء البصرة يكون لما يرون ، فلما قدم ابن الأشعث عقيب ذلك بايعوه على حرب الحجاج ، وخلع عبد الملك".

والجانب الثاني في دور الموالي أنهم شاركوا مشاركة فعلية في القتال ضد الحجاج ، بسبب ما أظهره من شدة عليهم ، ورفضوا ما أظهره من تفرقة بينهم وبين العرب ، قال ابن عبد ربه^(٢) : "ذكر الجاحظ أن الحجاج لما خرج عليه ابن الأشعث وعبد الله بن الجارود ولقى مالقي من قرى أهل العراق ، وكان أكثر من قاتله ، وخلعه وخرج عليه ، الفقهاء والمقاتلة والموالي من أهل البصرة ، فلما علم أنهم الجمهور الأكبر ، والسواد الأعظم ، أحب أن يسقط ديوانهم

(١) الكامل ٧٩ / ٤

(٢) العقد الفريد ٤١٦ / ٣

ويفرق جماعتهم ، حتى لا يتآلفوا ولا يتعاقدوا ، فأقبل على الموالى وقال : أنتم علوج وعجم وقراكم أولى بكم ، ففرقهم ، وفض جمعهم كيف أحب ، وسيرهم كيف شاء ونقش على يد كل منهم أسم البلدة التى وجهه إليها

وذكر الطبرى^(١) فى أخبار سنة ٨٢ هـ أن الذين قاتلوا مع ابن الأشعث فى موقعة دير الجماجم كانوا مائة ألف من العرب الذين يأخذون العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليتهم ، وهذا يوضح مدى حجم الموالى وثقلهم فى هذه الثورة .

وكان الموالى أشد المقاتلين حماسا وبلاء فى هذه الثورة ، ومنهم شخص يدعى نصيرا ، قيل إنه مولى للمفضل بن عباس الهاشمى ، وقتل فى المعركة سنة ٨٢ هـ^(٢) ، ومنهم فيروز حصين^(٣) (بإضافة) ، من موالى آل الخشخاش ، كان من أشد الناس بلاء ضد الحجاج حتى قال : " من جاءنى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم " فقال فيروز : " ومن جاءنى برأس الحجاج فله مائة ألف درهم " ، وفر إلى خراسان بعد هزيمة ابن الأشعث حتى وقع فى قبضة يزيد بن المهلب فبعث به إلى الحجاج فنكل به وقتله^(٤) .

(١) تاريخ الأمم والملوك ٨ / ١٥ (٢) الطبرى ٨ / ٨٢

(٣) سبق ذكره فى الفصل الثانى .

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٤٣ ، ١٤٧

وبانضمام الموالي والفقهاء إلى ثورة ابن الأشعث أصبح لها جانب اجتماعي له أهميته ، مما يجيز لنا أن نضعها في عداد الثورات التي تبنت قضية الموالي ودعت إلى إصلاح أحوالهم ، وإيجاد الحلول لمشاكلهم .

ونستطيع أن نقول إنها ثورة عراقية إيرانية شاملة في مواجهة بني أمية وأهل الشام ، تمثلت فيها معظم التيارات المعارضة عدا التيار الخارجي ، الذي لم يكن يقبل المشاركة مع مخالفيه في المذهب ولم يكن يحظى بقاعدة شعبية واسعة ، رأى فيها الجند خلاصاً من مشكلاتهم وقسوة القيادة عليهم ، ورأى فيها اليمينيون كسراً لاحتكار المضرة ، وخاصة قريش ، للسيادة دونهم ، ورأى فيها العلويون فرصة للتأثر من بني أمية ومحاولة إعادة الكرة عليهم ، ورأى فيها القراء وسيلة لتحقيق المثل الإسلامي التي يطالبون بها ، ورأى فيها الموالي الإيرانيون خلاصاً من مظالمهم وتبشيراً بعهد جديد تتحقق لهم فيه المساواة الكاملة ، ويفتح لهم طريق التقدم السياسي والاجتماعي .

وأصبحت الثورة تمثل الرابطة العراقية على اختلاف فئاتها ، ولذا نجد المؤرخين يطلقون على أتباع ابن الأشعث " العراقيين " وعلى أنصار بني أمية " الشاميين " ، وأوضح الطبري^(١) العناصر التي ساهمت في هذه الثورة فقال : " اجتمع أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وأهل

الثغور، والمسالح، والقراء، من أهل المصريين، اجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذون العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم".

ولكن الثورة لم يكتب لها النجاح رغم هذا التجمع الهائل، وهذا الحماس الشديد، لأن هذه الجماعات العراقية الإيرانية التي وحدها بينها الصف، لم يوحد بينها الهدف، كانوا جميعاً يلتقون على كراهية بنى أمية وأهل الشام، ولكن كان لكل منهم وجهة ومرمى ولم يكن يعينهم كثيراً أمر قائدهم ابن الأشعث، وأن تصير الخلافة إليه، وانطفأ حماس الجند عندما وصلوا إلى العراق ورووا غمأهم بروية أهليهم وديارهم وكان رجال الأمويين يتوقعون منهم ذلك وينتظرون هذه الفرصة، إذ كتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج ينصحه: "إن لأهل العراق شرة في أول مخرجهم، وصباة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا إلى أهليهم، ويشموا أولادهم، ثم واقعهم^(١) عندما، فإن الله ناصرك عليهم"^(٢)

وكان جند الشام أكثر طاعة والتزاماً، وأقوى تدريباً، وأحسن تخطيطاً وقيادة، تجمعهم رابطة واحدة، وائسوا قبائل متعده متنافسة، وأجناساً مختلفه كأتباع ابن الأشعث، ومن ورائهم الخلافة التي يمثلها في ذلك الوقت خلفه حازم محنك هو عبد الملك بن مروان، الذي اكتسب خبرة في حرب العراقيين في انتصاره على مصعب

(١) كذا في ابن الأثير وفي الطبري واقفهم

(٢) الطبري ١٠ / ٨ ، ابن الأثير ٧٩ / ٤

ابن الزبير سنة ٧١ هـ، وتمكن جيشه بقيادة الحجاج من إحراز نصر حاسم في دير الجطجم وأتبعه بنصر آخر في مسكن سنة ٨٣ هـ، وكانت نهاية ابن الأشعث أن فر إلى سجستان لاجئاً إلى ملكها رتبيل، فأسلمه إلى الحجاج فقتله سنة ٨٥ هـ.

دعاة الإصلاح في الجيش الخراساني

ظهر في الجيش الخراساني ، وبخاصة الفرق الموجودة منه في مناطق الشغور ، في جبهة ماوراء النهر وتركستان عدد من القراء والفقهاء وأهل التقى والدين الداعين إلى الالتزام بالقرآن والسنة ومبادئ العدل والمساواة بين جميع المسلمين على اختلاف أجناسهم والعمل على فتح أبواب الإسلام ، وتشجيع أهل الذمة على الدخول فيه ، بإعفائهم من الأعباء المالية من جزية وخراج .

وتعتبر هذه الحركة الإصلاحية امتداداً لجهود جماعه قراء البصرة الذين تعاطفوا مع الموالى وتبنوا مطالبهم ، وانضموا من أجل ذلك إلى ثورة ابن الأشعث .

وفي بداية الأمر لم يشكل دعاة الإصلاح في الجيش الخراساني جبهة واحدة ، أو حزباً مناوئاً ، ولكنهم كانوا مجرد أفراد ناصحين اكتفوا بإسداء الرأي وإرشاد القائمين بالأمر ، وكان رباط المودة والصداقة يجمع بين كثير من أفرادهم ، ثم تطور أسلوبهم الإصلاحى إلى معارضة منظمه قوية تعتمد على القوة والسيف فى مواجهة الإدارة الأموية التى رفضت نصحتهم واستهانت بدعوتهم .

ونجد على رأس هؤلاء الدعاة أبا الصيдаء صالح بن طريف^(١) من موالى بنى ضبة ، وكان زعيم هذه الحركة المتصدر لها ، وكان من

(١) فى بعض الروايات : " ابن طريف "

زعماء الوفد الخراساني الذي أرسله والي للقاء الخليفة عمر بن عبد العزيز في دمشق ، كما عُنِّي بعد ذلك رئيسا لبعثة الدعاة الذين كَلَّفوا بنشر الإسلام بين سكان ما وراء النهر وتركستان^(١) ، وكان رفيقه في الكفاح صديقه الشاعر ثابت قطنة ، وهو عربي من قبيلة الازد ، وأسمه بالكامل ثابت بن كعب بن جابر العتكي الازدي ، وسمى بقطننة لأنه فقد إحدى عينيه ، فكان يحشو مكانها بقطعة من القطن ، وبعض الكتاب يخلط بينه وبين ثابت قطبة الخزاعي ، وذكر الطبري^(٢) أنه من ربيعة ، ولكن ابن الأثير^(٣) نبه إلى ما يحدث فيه من خلط وأكد على اسمه ونسبه كما ذكرناه . وكان ثابت قطنة من أشجع المجاهدين الذين أبلوا في فتوحات ما وراء النهر ، وله أشعار عديدة تعبّر عن مواقفه السياسية ، ووصفه ابن خلكان^(٤) بأنه من شعراء خراسان وفرسانها ، وقال عنه الطبري^(٥) "إنه كان فاضلاً في دينه" .

ومن دعاة الإصلاح أبو روعة رئيس طائفة المرجئة ، وكان معه جماعة من أصحابه^(٦) ، والجهم بن صفوان زعيم فرقة القدرية ، التي تعرف أيضاً بالجهمية نسبة إليه ، وهو مولى راسب^(٧) .

-
- (١) ابن الأثير ١٥٨/٤ ، ٢٠٢ .
 - (٢) ابن خلكان ٣٠٧/٦ ، البلاذري : فتوح البلدان ٤١٨
 - (٣) تاريخ الأمم والملوك ٦٣/٨ (٤) الكامل ١٧٧/٤
 - (٥) وفيات الأعيان ٣٠٧/٦ (٦) تاريخ الأمم والملوك ١٣٤/٨
 - (٧) الطبري ١٥٣/٨ ، ابن الأثير ١٧٢/٤ ، ١٧٤
 - (٨) الطبري ٢٦٨/٩ ، ابن الأثير ٢٩٢/٤

ومنهم الحارث بن سريج الذي قام بثورته العارمة ضد الحكم
الأموي وكان صدوقاً للشاعرات قطنه، ورفيقه في الجهاد فيما وراء النهر
وكان أثناء الفتوحات يحصن المسلمين ويحرضهم على قتال الكفار^(١).

والى جوار هذه الشخصيات التي كان لها دور بارز نجد إلى
جوارهم أسماء أخرى من أهل الفقه والعلم، ممن ينتمون إلى قبائل
عربية متعددة مثل أبي فاطمة الأيادي^(٢)، وربيع بن عمران التميمي
والقاسم الشيباني، وبشر بن جرموز الضبي، وخالد بن عبد الله
النحوي، وبشر بن زنبور الأزدي، وعامر بن قشير الخجندی، وبيان^(٣)
العنبري، وإسماعيل بن عتبة^(٤)، وأضاف إليهم ابن خلدون بشير^(٥)
الجحدري، وقد ظهر دور هؤلاء المصلحين في أحداث سنة ١١٦ هـ
عندما تبنا قضية الموالى وتصدوا للدفاع عنها.

وباستعراضنا لأسماء هؤلاء الدعاة السابق ذكرها، نجد من
بينهم العرب والموالى، والمضريه واليمانية، مما يدل على أن حركتهم
الإصلاحية قد تلاشت فيها الفوارق الجنسية والبواعث العنصرية،
وتجلى فيها التمازج الإسلامى، ورابطة المبادئ والمثل.

(١) ابن الأثير ٢٠٢/٤، وسنعود للحديث عن ثورة الحارث بن
سريج في المبحث التالى.

(٢) كذا فى الطبرى وفى ابن الأثير، وابن خلدون (١٨٧/٥) الأزدي
(٣) أو ابن بشير

(٤) الطبرى ١٣٤/٨، ابن الأثير ١٥٨/٤

(٥) العبر ١٨٦/٥، ١٨٧

وقد بدأت هذه الجماعة بعرض مطالبها على الخلافة بصورة هادئة في سنة ١٠٠ هـ ، على لسان مثلهم أبي الصيدا الذي مثل أمام الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ضمن الوفد الذي بعثه والمولى خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي ، وقد استفاد هذا المولى من هذه الفرصة ، ووجد من الخليفة رغبة في الاستماع إليه فقال له :
 " يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفا من الموالى يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج ، وأميرنا عصي جاف ، يقوم على منبرنا فيقول : أتيتكم حفا ، وأنا اليوم عصي ، والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم . . . وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والجور" (١) .

ونلاحظ أن أبا الصيدا قد عرض مطالب فريقين من الموالى الذين ينتمى إليهم ، المحاربين بلا عطاء ، والمأخوذون بالجزية ، والارجح أن الأولين هم الإيرانيون الذين رسخ قدمهم في الإسلام ، وأصبح لهم دور في الجيوش المحاربة ، والآخرين هم سكان ما وراء النهر حديثو العهد بالإسلام ، وكانوا لا يزالون يعاملون كأهل ذمة .

وقد أبدى الخليفة إعجابه بهذا الرسول المتحدث ، وأثنى على شجاعته وصدقه ، وقال له : " مثلك فليوفد " ، وأمر الوالى بتحقيق هذه المطالب ، وإعفاء كل من يدخل في الإسلام من الجزية بلا قيد ولا شرط. (٢)

(١) الطبرى ٨ / ١٣٤

(٢) المصدر السابق ، ونفس الصفحة ، وابن الأثير ٤ / ١٥٨

ولكن أسلوب الحوار الهادئ لم يعد يجدى بعد وفـسـاة الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وعادت السياسة الأموية فى تقديم مصلحتها المالية على المبادئ ، والاشتداد فى معاملة الرعايا من غير العرب ، بصورة أشد مما كانت عليه ، ولم يكن دعـاة الإصلاح فى ذلك الوقت - وهم أفراد معدودون - يستطيعون بقوتهم المحدودة تنفيذ برنامجهم الاصلاحى ، فاتجه بعضهم الى تحقيقه من خلال المشاركة فى حركات المعارضة الأخرى التى يرى أنها توافقه فى الهدف ، ممن يرفع شعار العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكان أبو ربيعة زعيم المرجئة وجماعته يحاربون مع يزيد ابن المهلب ضد بنى أمية عندما وجدوه يرفع هذا الشعار ، وكان أبو ربيعة أشد أنصاره على بنى أمية ، وبرغم ذلك أصر فى حربه معهم على الالتزام بالمبادئ ، ورفض أن يسلك معهم سبيل الغدر والمخائفة^(١)

وبقى الفريق الأكبر من دعاة الإصلاح يحاول من جديد تحقيق مبادئه سلمياً من خلال التعاون مع الإدارة الأموية ، ولكن العمال لم يفوا لهم ، ولم يلتزموا بما أعطوهم من عهود ، فعندما تولى خراسان أشرس بن عبد الله السلمى سنة ١٠٩ هـ ، فرحوا بمقدمة ، وكان الناس يسمونه الكامل لفضله^(٢) ، وأبدى فى بداية عهده رغبة فى نشر الإسلام فيما وراء النهر والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة بدلاً من السيف والحرب ، فأيده فى ذلك جماعة الإصلاح وعلى رأسهم

(١) الطبرى ١٥٣/٨ ، ابن الأثير ١٧٢/٤ ، ١٧٤

(٢) ابن الأثير ٢٠٠/٤

زعيمهم أبو الصيداۃ الذى وافق على الاضطلاع بهذه المهمة ، لكنه اشترط على الوالى " أن من أسلم يعفى من الجزية " وأشهد عليه أصحابه فقال لهم : " إن لم يفِر العمال أعنتمونى عليهم ؟ قالوا : نعم .

وكلل أبو الصيداۃ مهمته بالنجاح ، وأقبل أهل سمرقند على الإسلام ، ولكن الوالى تراجع عن الوفاء بوعده خوفا أن ينكسر الخراج وكتب إلى عماله : " خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه " ، ويقال إن الذى زين له هذا الأمر كاتب نبطى يسمى عميرة ، ويكنى بأبى أمية ، فزاد وظائف خراسان ، واستخف بالدهاقن^(١) .

وكان هذا الموقف سبباً فى فساد العلاقة بين الإدارة الأموية فى خراسان ، وجماعة الإصلاح ، الذين اضطروا بعد ذلك إلى اتباع الأساليب العنيفة ، وإعلان معارضتهم للسياسة الأموية ، وانضم عدد منهم وعلى رأسهم أبو الصيداۃ إلى آلاف الثائرين من أهل السغد ، فاحتال عليهم الوالى ، وأمر قائد جيشه باستدعائهم ، ثم قام باعتقال رؤوسهم ، ووضع أبا الصيداۃ وصديقه ثابت قطنة فى السجن .

عندئذ اجتمع باقى دعاة الإصلاح وولوا أمرهم أبا فاطمة الأيادى فاحتال عليهم نائب الوالى ، واستمهلهم مدّعياً أنه ينتظر رد الوالى على مكاتباته ، ثم قبض عليهم وأرسلهم إلى الوالى أشرس ، وبقي ثابت قطنة محبوساً ، حتى أطلقه الوالى بكفالة بعض سادة العرب ، ولم

يُمتدُّ أجله بعد ذلك طويلاً إذ لقي الشهادة سنة ١١٠ هـ، وهو
يقاتل كفار الترك إلى جوار رفيقة الحارث بن سريج، وكان قبل ذلك
يدعو الله قائلاً: "اللهم اجعلني ضيفاً عندك الليلة"^(١).

وقد أفسدت هذه السياسة على المسلمين ولاية ماوراء النهر وتمرد
عليهم أهل السغد، وتحالفوا مع جيرانهم الترك الذي كانوا لا يزالون
على وثنيتهم، وهاجموا مدن ماوراء النهر الإسلامية مثل كمرجستان^(٢)
وبخارى، ومالبثوا أن تجرأوا على عبور النهر، ومهاجمة خراسان
نفسها،^(٣) كما أدت هذه السياسة إلى اتجاه جماعة الإصلاح إلى حمل
السلاح ضد بني أمية في ثورة قوية قادها الحارث بن سريج، وامتدت
إلى أواخر العصر الأموي.

(١) الطبري ١٩٨، ١٩٩

(٢) بفتح أوله وثانيه وسكون الراء، من قرى الصغد (ياقوت ٤ / ٤٧٩)

(٣) ابن الأثير ٤ / ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٢٦

ثورة الحارث بن سريج

أهداف الثورة :

لم نجد في المصادر التي رجعنا إليها نصاً صريحاً عن نسب الحارث بن سريج وأصله ، وقد ذكر ابن خلدون^(١) أنه كان عظيم الأزد بخراسان ، وهذا القول لا يمكن التسليم به ، لأن أكثر أنصار الحارث كانوا مضرية وكان أعداؤه اليمنية يعيرونه بالهزائم^(٢) ، وقد دخل في صراع عنيف مع الأزد وزعيمهم جديع بن علي الملقب بالكرمانى وكانوا أشد الناس عداًء له ، وبلاء في حربه ، ولكننا نستطيع أن نستشف من أبيات هجاه بها أعداؤه ، تنسب إلى الوالى نصر بن سيار الكناني ، أن الحارث كان عربياً مضرياً ينتمى إلى قبيلة تميم^(٣) وبعض ذلك أن المضرية وبخاصة تميم كانوا أسرع الناس إلى مبايعته ونصرته^(٤) .

(١) العبر ٥ / ١٩٧

(٢) انظر ابن الأثير ٤ / ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٢٦

(٣) جاء في هذه الأبيات :

بأمدخل الذل على قومه	بعدا وسحقا لك من هالك
شؤمك أردى مضرا كلها	وحزمن قومك بالحاراك
ماكانت الأزد وأشياعها	تطمع في عمرو ولا مالك
ولا بنى سعد إذا أجموا	كل طمر لونه حالك

وعمر و مالك وبنو سعد بنطون من تميم

انظر الطبرى ٩ / ٧٣ ، ابن الأثير ٤ / ٢٩٤

(٤) الطبرى ٩ / ٥٣ ، ابن الأثير ٤ / ٢٩٣

وتبدأ معرفتنا بالحارث عندما يرد اسمه كثيراً في حركة الإصلاح التي ظهرت بين الجند الخراساني في ما وراء النهر، وكان من الفرسان أصحاب البلاء، كما كان صديقا ورفيقا للشاعر ثابت قطننه سالف الذكر.

وعن أفكار الحارث وعقيدته، فقد نص الطبري^(١) أنه كان يرى رأى المرجئة، وهي فرقة تتصف بالاعتدال، ولا تكفر أحداً من المسلمين وترجى الحكم إلى الله يوم القيامة، ولم نجد لآراء هذه الفرقة تأثيراً عملياً على ثورة الحارث بن سريج، لأن آراءها متصلة بالاعتقاد القلبي، وكانت رد فعل للاختلافات الحادة التي وقعت بين فرق المسلمين ومتكلميهم حول مرتكب الكبيرة، ولم تكن ثورة الحارث تتعلق بهذه القضية الكلامية، ولم يكن معظم الذين يقاتلون معه من أتباع هذه الفرقة، بل أننا نرى من بين أنصاره من لا يشاركونها الرأى مثل الجهمية أو الجبرية، وعلى رأسهم زعيمهم الجهم بن صفوان مؤسس الفرقة، وكان يقوم بدور المتحدث بلسان الحارث، ويدعو الناس إليه ويقوم بقراءة سيرته وبرنامجه الإصلاحى عليهم، كما كان مثله لدى الوالى نصر بن سيار عندما طلب اللجوء إلى التحكيم^(٢).

ولكن ثورة الحارث كانت امتداداً لحركة الإصلاح التي ظهرت بين المجاهدين فيما وراء النهر، وقد تصدى لزعامتها عند ما تحولت من اللسان إلى السنان، بعد أن هاله ما حل بزعمائهم

(١) تاريخ الأمم والملوك ٨ / ٢٢٣

(٢) الطبري ٩ / ٦٨ ، ابن الأثير ٤ / ٢٩٢

على أيدي عمال بني أمية من اعتقال وسجن ، وكان يرفع أهم شعاراتهم وهي العمل بالكتاب والسنة ، وكان يقاتل تحت رايته عدد منهم ، وهم الذين أسماهم الطبري " أهل البصائر " ، وقتل بعضهم دون مبادئهم ، ومنهم أبو فاطمة الأيادي الذي ببيع من قبل رئيسا لهم^(١) .

وكان الحارث يرفع الرايات السود ، ويلبس السواد ، ويدعو للرضا ، وهي نفس الشعارات التي رفعها العباسيون الذين أظهروا دعوتهم بعده بقليل ، ولكن هذا التشابه في الشعارات لا يدل على تشيع الحارث أو ارتباطه بالدعوة العباسية ، لأن حركته بدأت من منطقة ما وراء النهر ، ولم يكن للعباسيين ولا للشيعة نشاط بها في ذلك الوقت ، لأن خلاياهم السرية لم تكن تتجاوز العراق وخراسان ، ولم يثبت أن الحارث اتصل بهم أو تعاون معهم ، وقد عاصر الحارث في المرحلة الأخيرة من ثورته بداية ظهور أبي مسلم الخراساني داعية العباسيين ، ومع ذلك ، لم يفكر أبو مسلم ولا دعاة العباسيين في التعاون معه أو مناصرته عندما اصطدم بالكرمان في مرو ، ودارت عليه الدائرة .

كما أن الحارث لم يفكر في التعاون مع بعض الثائرين العلويين الذين ظهروا في المنطقة في ذلك الوقت مثل عبد الله بن معاوية الذي أعلن ثورته سنة ١٢٧ هـ ، ولكن الحارث كان يرفع الرايات السود على اعتبار أنها شعار إسلامي كان يستخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته ، وكان يدعو للرضا من المسلمين دون أن

(١) الطبري ٦٨/٩ ، ابن الأثير ٢٩٢/٤

يحدد نسبه في آل محمد أو أبناء علي أو غيرهم .

لقد كان الحارث يدعو إلى منهج اصلاحي يتمثل في العمل بالكتاب والسنة ، واستعمال أهل الخير والصلاح من العمال في الولاية والإدارة ، ولم يقبل التنازل عن هذا المطلب أو المساومة عليه ، أو المهادنة في المطالبة به ، حتى في أحلك الظروف التي مرت به ، وعندما جاء إلى خراسان سنة ١٢٧ هـ ، وحصل على الأمان لنفسه ، لم يكن معه في البداية قوة ولا أنصار ، ومع ذلك رفض عرضاً من الوالي نصر بن سيار باستعماله ، وإعطائه مائة ألف دينار ، وكتب إليه : " إني لست من هذه الدنيا ، ولا هذه اللذات ، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء ، وإنما أسألك كتاب الله عز وجل ، والعمل بالسنة ، واستعمال أهل الخير والفضل ، فإن فعلت ساعدتك على عدوك " (١)

وعندما رأى الحارث أن بني أمية وعمالهم لم يرتضوا هــــــ المطالب ولم يلتزموا بها ، طوّر من أهدافه ومطالبه ، ووسع نطاقها فأعلن رفضه لحكم بني أمية ، وأصر أن يكون الأمر شوري ، وأن يـرد الأمر إلى المسلمين ليختاروا لأنفسهم (٢) ، وقد أظهر عداءه الصريح لبني أمية في المرحلة الأخيرة من ثورته سنة ١٢٨ هـ ، وأعلن أنه ينوي أن يهدم أسوار دمشق ، ويزيل ملك بني أمية (٣) .

(١) الطبري ٥٣ / ٩

(٢) المصدر السابق ٦٦ / ٩ ٦٨٠

(٣) ابن الأثير ٢٩٢ / ٤

مراحل الثورة :

بدأت ثورة الحارث بن سريح سنة ١١٦ هـ ، ولم تنته إلا بمقتله سنة ١٢٨ هـ ، ولم تكن متصلة مستمرة ، ولكنها كانت على ثلاث مراحل تهدأ لتبدأ من جديد بعد حين ، وكان طابع الثورة يختلف في كل مرحلة ، من حيث الميدان الذي تنطلق منه ، والقوة التي تعتمد عليها ، والمطالب التي تنادي بها .

بدأت المرحلة الأولى في سنة ١١٦ هـ بعد اصطدام زعماء جماعة الإصلاح بالإدارة الأموية بحوالي خمس سنوات ، وكان ميدانها منطقة نهر جيحون واعتمدت على العناصر التركية والفارسية بصفة أساسية .

ولكن لماذا تأخر رد فعل الحارث طوال هذه الفترة ؟ لا يبدو أن الحارث سكت عما حاق بزملائه ثم استيقظ فجاء بعد هذه السنوات الخمس ليثار لهم ، ونعتقد أنه كان من بين فريق المصلحين الذين انحازوا إلى أهل سمرقند في غضبتهم على عمال عمال بني أمية سنة ١١٠ هـ ، وأنه كان يحس أهل البلاد وبحر ضيقهم على المطالبه بحقوقهم وتقوية أنفسهم بالتعاون مع قبائل الترك ذات البأس والقوة ، لأن هذه الفترة التي سبقت ثورته حفلت بالهجمات التركية العنيفة على المسلمين في حصونهم ، وفي المدن التي استقروا بها في إقليم ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند ، وقُتل خلالها بعض قادة المسلمين الكبار مثل الجراح الحكمي ، وسورة بن الحر التميمي .

وعندما انتصر المسلمون في النهاية ، وفشلت الهجمات التركية القوية في النيل منهم ، بدأ الحارث يظهر في صفوف الأتراك ويشارك في قيادة هجومهم .

وكان الحارث في هذه المرحلة يركز نشاطه على المنطقة الواقعة على جانبي جيحون ، وهي ملتقى العنصرين التركي والإيراني ، ويتخذ من الفارياب^(١) وبلخ قاعدتين له ، ويستعين بعناصر من الترك والفرس إلى جوار أنصاره من العرب ، وتمكن خلالها من الاستيلاء على بعض المدن ، وطرد عمال بني أمية منها ، واستعمل عليها عمالا من قبله .

وفي هذه المرحلة يتجلى بوضوح دور الموالى الإيرانيين في مناصرة الحارث ، إذ كان معه منهم دهاقين الجوزجان والفارياب وملك الطالقان ، ودهقان مرو الروذ وغيرهم .^(٢)

ولكن الحارث اصطدم بالمقاومة الباسلة التي أبدتها الوالى عاصم بن عبد الله ورجاله عند مرو سنة ١١٦ هـ ، فارتد مهزوما ، ومضى بهزيمة أخرى عند بلخ سنة ١١٧ هـ أمام جيش الوالى التالى أسد ابن عبد الله القسرى الذى يقوده الكرمانى .^(٣)

وفي المرحلة التالية اضطر الحارث إلى التراجع إلى بلاد الترك وعاش بينهم أكثر من عشر سنوات ، ولكنه كان بين الحين والحين يظهر في مقدمة صفوف خاقان ملك الترك في هجماته على خراسان

(١) بكسر الراء مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان غربى جيحون قرب بلخ ، وربما أميلت فيقال لها فيرياب (ياقوت ٤ / ٣٣٩)

(٢) ابن الأثير ٤ / ٢١٨ (٣) ابن الأثير ٤ / ٢٢٥

وكان يقود ميمنته سنة ١١٩ هـ، ويمده بالرجال^(١)، وبعد مقتل خاقان في هذه السنة اختفى الحارث عن مسرح الأحداث وكل ما نعرفه أنه قضى هذه الحقبة في بلاد الترك، وليست لدينا أية معلومات عن نشاطه وحياته هناك، والغالب أنه كان يبذل جهداً في نشر الإسلام بين وثني الترك، ويتنقل من أجل ذلك في مناطق إقليم السغد.

وفي سنة ١٢٦ هـ تبدأ المرحلة الثالثة من نشاط الحارث بن سريج، ودارت اتصالات بينه وبين الإدارة الأموية في خراسان لأن وجوده في بلاد الترك كان مصدر خوف وقلق لهم، فعملوا على مسالمة وإرضائه، واستقداً إلى خراسان ليكون تحت أعينهم ولعلهم اشتوا من أخباره أنه يفكر في تحرك جديد، فبعثوا إليه بوفد من زعماء العرب والموالي، وتم الاتفاق بينهم وبينه على أن يحصلوا له على أمان من الخليفة يزيد بن الوليد نفسه، وورث إليه جميع أمواله، وقدّم الحارث عقيب ذلك إلى خراسان سنة ١٢٧ هـ، وحاول الوالي نصر بن سيار أن يتودد إليه فبعث إليه هو وزوجته المرزبانة بنت قد يد بهدايا ثمينة، لكنه باعها جميعاً وفرق ثمنها في أصحابه بالسوية، وآثر حياة الزهد والتقشف فكان يجلس على بردعة، وتثنى له وسادة غليظة، ويكتفى بلون واحد من الطعام^(٢).

وكانت سيرة الحارث ونمط حياته يجذب إليه الأنصار والمريدين

(١) الطبري ٨ / ٢٢٤ ، ابن الأثير ٤ / ٢٢٧ ، ٢٢٨
(٢) الطبري ٨ / ٢٢٤ ، ابن الأثير ٤ / ٢٢٧ ، ٢٢٨

حتى بلغ عددهم في فترة المسالمة هذه ثلاثة آلاف .

ولم يتخل الحارث أثناء ذلك عن برنامج الإصلاح ، بل اكتفى بالدعوة إليه سلماً ، فكان يكتب كلاً من زعيم المضربة الوالسي نصر بن سيار وخصمه زعيم اليمانية الكرمانى يدعو كلاً منهما إلى العمل بالكتاب والسنة ، ويوعده بالتأييد والنصرة إن فعل^(١)

ولكن الحارث لم يجد رداً يرضيه ويقنعه من الطرفين ، ولم يكن في نفس الوقت راضياً عن سياسة بنى أمية ، ولكنه لا يستطيع أن يتحلل من عهده معهم ، ولكنه كان يترقب الفرصة ، ويتلمس الأسباب ليجدد ثورته ، وبخاصة بعد أن وقع الصراع بين الوالسي والكرمانى ، وقتل الخليفة يزيد بن الوليد ، وآل الأمر إلى مروان بن محمد ، وكان كثير من الناس يعتبرونه مغتصباً للخلافة ، فوجد الحارث مندوحة لنقص العهد وقال : " إنما أمني يزيد ، ولم يؤمنى مروان^(٢) .

وأعلن الحارث ثورته العارمة في سنة ١٢٨ هـ وكانت أعنف وأشد من ثورته السابقة ، ودعا إلى إسقاط حكم بنى أمية ولكن أنصاره لم يشاركوه في هذا الرأي ، ورأوا الاقتصار على السيطرة على خراسان .

ولم يكن للموالى دور في هذه المرحلة ، لأن أنصار الحارث كانوا من العرب وبخاصة المضربة ، مما أداه إلى التورط في صراع قبلى ، وانحرفت الثورة - رغماً عنه - عن أهدافها الإصلاحية إلى فتنة عصبية قبلية ، إذ اتخذها أنصاره المضربة سلاحاً لضرب منافسيهم

(١) ابن الأثير ٢٨٦ / ٤

(٢) ابن الأثير ٢٩٢ / ٤

من اليمنية والربعية المتحالفين تحت لواء الكرمانى ، وأغفلوا قضية
الموالى والمثل الإسلامية التى أمضى الحارث سنين طويلة يقاتل من
أجلها .

وهكذا بدأت ثورة الحارث بآمال عريضة ، وشعارات عظيمة ، ثم
تحولت إلى ثورة محلية ضيقة ، ولم تنجح فى تجميع العناصر الخرسانية
كلها - عرباً وإيرانيين - تحت رايتها .

وكان الوالى نصر بن سيار حصيفاً حين آثر أن يترك غريميسه
يقتلان ، وينسحب هو من الميدان ، لأنه رأى أن جنده المضريه
لن يخلصوا فى قتال الحارث وأتباعه الذين ينتمون إلى أرومتهم
وأدت هذه العوامل إلى هزيمة الحارث ومصرعة امام الكرمانى
سنة ١٢٨ هـ .

وإذا كانت ثورة الحارث قد فشلت تحقيق برنامجها الإصلاحى
فإنها مهدت من حيث لا تدرك لحركة ثورية أخرى هى دعوة العباسيين
التي استثمرت نتائج الفتنة بين اليمنية والمضرية ، ووجهتها لما
يحقق مصلحتها هى وإذا كانت الرايات السود قد ظهرت فى كل
منهما ، فإن ذلك لم يكن يعنى وحدة الهدف ، ولو توحدت الغايات
لتوحدت الرايات ، ولكن أنصار الحارث المضرية كانوا أعداء أبى مسلم
وأعداء اليمنية كانوا أنصاره .

وفشلت ثورة الحارث لأنها لم تتمكن من الحفاظ على سلامة مبادئها ، وأصبحت تابعة لهوى أتباعها ، أما الثورة العباسية فقد كانت أقدر منها على تجميع العناصر الإيرانية والعربية ، وتطويعها لخدمة أهدافها ، وجعلت الأهداف فوق الاتباع .

موقف الإيرانيين من الفتنة في خراسان :

يرتبط بثورة الحارث بن سريج حدث آخر كان للموالي الإيرانيين موقف منه هو الفتنة الخطيرة التي وقعت بين العناصر العربية المقاتلة في خراسان من اليمنية المتحالفين مع الربعية ، والمضرية .

وكانت نفوس اليمنية ، وعلى رأسهم الأزد ، قد امتلأت بتراكمات السخط والنقمة على السياسة الأموية التي صرفت وجهها عنهم ، منذ أقصت المهلب وأبناءه ، الذين كانوا يمثلون عز الأزد ومجد اليمنية ، ومالبت بعد ذلك أن عزلت خالدًا القسري الذي ينتمي إلى بجيلة التي يعدونها منهم ، ثم أقصت زعيمهم جديع بن علسي الملقب بالكرمانى (لمولده في كرمان) ، ومنعته من مشاركة الوالى نصر بن سيار فى السلطة ، واتخذ الوالى عدة إجراءات عنيفة^(١) ضده .

وعندئذ تفجرت ثورة اليمنية بقيادة الكرمانى ، وأعلنوا تمردهم على الوالى ، وفى نفس الوقت جدد الحارث بن سريج ثورته فسمى خراسان ١٢٧ هـ على النحو الذى ذكرناه ، وانضم إليه المضريه ،

(١) ابن الأثير ٢٧٤ / ٤ وما بعدها .

وغلب جانب العصبية على ماتدعواله ثورته من مبادئ ومثل ، ولم يكن في استطاعة الوالى أن يواجه الفريقين ، وبخاصه أنه لم يتلق مددا من الخلافة التى شغلت عن نصرته بما انبثق ضدها من فتن واضطرابات فى الجزيرة والشام ، فأثر أن ينسحب ويترك الميـدان للمتصارعين يوهن أحدهما الآخر ، وشهدت مرو قتالا طاحنا بين الفريقين ، أسفر فى النهاية عن انتصار اليمنية ، ولكن الغنيمه كانت من نصيب طرف ثالث أشد ذكاء وأحكم تدبيرا ، وهو أبو مسلم الخراسانى قائد الثورة العباسية فى خراسان .

وكان الموالى أثناء هذه الفتنة العصبية بمنأى عنها ، بعيدا عن المشاركة فيها ، إذ لاناقة لهم فيها ولا جمل ، كما أنها لا تمثل شيئا من مطالبهم وآمالهم ، وآثروا الالتفاف حول لواء الحركة الجديدة التى يقودها أبو مسلم أملا فى زيادة مكاسبهم السياسية ، وفتح أبواب المشاركة فى الصفوف الاولى أمامهم .

وكان دور الموالى خلال هذه الفتنة ، التى تشمل أيضا المرحلة الأخيرة من ثورة الحارث بن سريج ، مقصورا على بذل المساعـى السياسية ومحاولة التقريب بين الأطراف المتصارعة ، والدعوة إلى مناصرة الإدارة الأموية فى محنتها .

وكان يتزعم هذا الدور زعيم الموالى فى خراسان مقاتل بن حيان النبطى ، الذى ورث كثيرا من مكانة أبيه ، ولكنه لم يكن مثله قائدا عسكريا ، بل كان يسلك سبيل العمل السياسى والإصلاح السلمى ويتضح مما رواه عنه الطبرى أنه كان من أهل الفقه والدين ، وكان يحظى بالثقة والاحترام من جميع الأطراف المتصارعة فى خراسان .

ولذلك وقع عليه الاختيار ليكون رسول سلام بين الولاة المؤمنين
والحارث بن سريج ، واستخدمه من أجل هذا الغرض عاصم بن عبد
الله الهلالي (الذى تولى خراسان من سنة ١١٦ الى ١١٧ هـ)
ونصر بن سيار (آخر الولاة المؤمنين فى خراسان)^(١) .

ومن خلال اطلاع مقاتل على الموقف عن كثب ، وتقديره للعواقب
ولقاءاته المتعددة مع الحارث بن سريج ، رفض الانغماس فى الفتنة
ودعا أهل خراسان على اختلاف عناصرهم إلى الوحدة والجماعة
والالتفاف حول ولاية الأمر ، وقال فى حديث وجهه إلى رجال الحارث
ابن سريج سنة ١١٦ هـ : " ي أهل خراسان ، إنا كنا بمنزلة بيت واحد
وشجر واحد ، ويدنا على عدونا واحدة ، وقد أنكرنا ما صنع صاحبكم
ووجه إليه أميرنا (عاصم بن عبد الله الهلالي) بالفقهاء والقراء من
أصحابه . . " ^(٢) وكان مقاتل لا ينفك خلال المرات العديدة التى أوفده
فيها نصر ابن سيار إلى الحارث بن سريج ، يبصره بالعواقب ويوجهه
إليه النصح .^(٣)

وكان مقاتل حريصاً على الالتزام بالعهود ، والوفاء بالمواثيق
رافضاً أساليب الغدر والخداع ، فقد أراد وإلى العراق أن ينقض
العهد الذى أعطاه نائبه نصر بن سيار للحارث وقال له : " إنك أمنت
الحارث بغير إذن ولا إذن الخليفة " وبعث رجلاً من قبله
ليغتال الحارث ، يُدعى يزيد بن الأحمر ، وأمره أن يفتك به إذا صار
معه فى السفينة ، وكان مقاتل فى هذه الاشياء عائدًا من سفارته

(١) الطبرى ٢١٩ / ٨ ، ٢٢١ ، ٦٦ / ٩ ، ١٦٧ ،

(٢) الطبرى ٢٢١ / ٨ (٣) الطبرى ٤٢ / ٩

إلى الحارث فالتقى بيزيد بن الأحمر ، فكفَّه عن الحارث وأقنعه^(١) بالعودة .

وعندما توصل الحارث إلى اتفاق مع الوالى نصر بن سيار سنة ١٢٨ هـ على العمل بالكتاب والسنة واختيار عمال من ذوى الفضل والدين ، كان مقاتل بن حيان من بين الأعضاء الأربعة الذين اختارهم الطرفان ليشرفوا على تنفيذ الاتفاق ، وانتخاب العمال^(٢) الصالحين .

ولم يكن حيان يحابى الوالى أو يتحيز له ، بل كان يؤثر ما يراه عدلا وصوابا ، وعندما تناظر الحارث ونصر ، تراضيا أن يحكم بينهما حيان باعتباره مثالا للوالى ، والجهم بن صفوان باعتباره مثالا للحارث ، فالتقى رأى الحكمين أن يعتزل نصر ، ويكون الأمر شورى ، ولكن نصراً لم يقبل هذا الحكم^(٣) .

ورفض مقاتل تجاوز هذا الدور الإصلاحى ، ورفض أعمال العنف والتخريب مهما كان مصدرها ، وعندما سيطر الكرمانى على مرو ، وأمر بهدم الدور ونهب الأموال ، اعترض عليه مقاتل ، وقال له : " أفى كتاب الله هدم الدور ونهب الأموال ؟ وتعرض بسبب ذلك إلى الحبس فى خيمة بمعسكر الكرمانى ، إلى أن توسط له أحد أقاربه يدعى معمر^(٤) ، فتم الإفراج عنه^(٥) .

(٢) الطبرى ٩ / ٦٧

(١) الطبرى ٩ / ٤٣

(٣) المصدر السابق ٩ / ٦٧

(٤) قد يكون ابن مقاتل أو أخاه (انظر الطبرى ٩ / ٧٢)

(٥) ابن الأثير ٤ / ٢٩٤

خاتمة

حاولنا في هذه الدراسة أن نبرز دور العناصر الإيرانية خلال العصر الأموي ، ونعيد مناقشة بعض القضايا التي تتعلق بالعلاقة بين العرب والموالي وموقف الدولة الأموية من رعاياها الإيرانيين .

وقد اتضح لنا في الفصل الأول أن العرب كانوا يتوافدون على المناطق الإيرانية في حركات هجرة متتابعة متخذين من العراق معبراً لهذه الهجرة ، وأن الإيرانيين قد رحبوا بهذه الهجرات ولم يتخذوا منها موقفاً عدائياً ، وحدث بينهم وبين العرب تعايش وتقارب وتمازج كان يتزايد مع الأيام ويقوى بمرور الزمن ، ولكن العرب حملوا معهم كثيراً من سمات حياتهم القبلية الأولى في جزيرة العرب ، وكثيراً من المؤثرات التي لحقت بهم خلال وجودهم في مصرى العراق ، وأدى ذلك إلى حدوث الخلافات والانقسامات العصبية بينهم .

ولم تكن الدولة الأموية تعمل على تشجيع هذه العصبيات وتوسيع هوة الخلاف بين القبائل العربية بهدف إضعافها وشغلها ، بل على العكس كانت تحاول إيجاد موازنة بينها ، وتوجيه هذه العصبيات إلى ما يحقق المصلحة العامة بالإفادة منها في الفتوح ومواجهة الاضطرابات .

ولم يحاول الإيرانيون استثمار هذه الصراعات وزيادة ضرامها بل كانوا في أكثر الأحيان بمنأى عنها ، وقد أوضحنا في الفصل الأخير الدور السلمي الذي حاوله بعض القادة الإيرانيين لإخماد الفتنة ، وتوحيد الصفوف ، والطرف الوحيد الذي حرص على استثمار هذه الصراعات العربية أهم أصحاب الدعوة العباسية والقائمون عليها .

وتحدثنا في الفصل الثاني عن أوضاع الموالى الإيرانيين ، وبيننا أن علاقة الولاء التي كانت تربطهم بالعرب لم تكن تحط من أقدارهم وتجعلهم طبقة دنيا ، بل على العكس كانت تتيح لهم الحصول على مكاسب كثيرة ، ولذلك كانوا يسعون إليها بأنفسهم ، ولا يحاولون التحلل من هذه الرابطة أو التبرؤ منها ، بل كانوا ينظرون إليها بمزيد من الاعتزاز .

وكان هناك اتجاه اجتماعي وسياسي متعصب ضد الموالى ، ولكنه لا يمثل الاتجاه العام أو الغالب ، كما أنه كان يتضاءل مع الزمن بفعل التمازج الاجتماعي ، وكانت الدولة الأموية تعدل من سياستها بما يحقق مصالح الموالى ، ولا يدفعهم إلى معاداتها .

ولم يكن الموالى يُحرّمون من العطاء ، ويعانون من التزامات مالية لا بقرها الإسلام إلا في فترات محدودة ، ولا سبب رأى الولاة أنها تهدد أمن الدولة واقتصادها ، وكان الاتجاه الإسلامي الإصلاحى يفرض نفسه فى أغلب الأحيان ، ولم يكن الموالى يققون وحدهم فى المطالبة بحقوقهم ، بل كان فريق من العرب يؤازرهم ، ويبدى حماساً أكثر منهم لتحسين أحوالهم .

وفى الفصل الثالث أوضحنا أن الباب لم يكن موصداً أمام مشاركة الموالى فى الإدارة والحكم ، وأنهم تولوا مناصب قيادية هامة ، وبعض الإمارات على البلدان ، كما أوكل إليهم أمر الدواوين وجباية الخراج وعند ما اتجهت الدولة الى تعريب إداراتها أسهم هؤلاء الموالى بنصيب وافر فى هذا المجال .

وكان الموالى يُستخدَمون فى السفارة إلى المناطق الثغرية المجاورة ، ويُعتمد عليهم فى عقد المصالحات والتفاوض ، لعلمهم وخبرتهم بأهل هذه المناطق ولغتهم ، وكانوا لا يألون جهداً فى خدمة دينهم والدولة التى يمثلونها .

وشارك الإيرانيون فى النشاط العسكرى والفتوحات ، كما أوضحنا فى الفصل الرابع ، وكانت منهم أعداد كبيرة فى مناطق الثغور كما كانت لهم فرقة أساسية فى الجيش الخراسانى يقودها واحد منهم وتعمل جنباً الى جنب مع فرق القبائل العربية ، وكان أصحاب الراى والتدبير من الموالى يشاركون فى إعداد الخطط الحربية ، وتدبير أمر الحرب .

ولم يتوان هؤلاء الموالى العاملون فى الجيش الخراسانى عن الدفاع عن النفوذ الاموى عندما تعرض للخطر ، وأبدوا إخلاصاً فى التصدى للثائرين والمنشقين ، وقد عرفت الخلافة الاموية قدر هؤلاء الموالى فأحسنّت إلى قادتهم ، ونظرت إليهم بعين الإنصاف عندما شكوا من بعض الولاة .

وفى الفصل الخامس تحدثنا عن موقف الموالى من التيار الخارجى وبيننا أن مشاركتهم للخوارج كانت ضئيلة لا تكاد تبين ، وتحدثنا عن أسباب ذلك وقارنا موقف الإيرانيين بموقف غيرهم من الشعوب الأخرى من حركة الخوارج ، وبيننا أن ارتباط الإيرانيين الأكبر كان بالحركة الشيعية ، وناقشنا نظرية براون وجوبينو التى تفسر هذا الارتباط على أساس اقتناع الفرس القديم بالحق الملكى المقدس ، وامتزج الدم الفارسى بالدم العلوى عن طريق المصاهرة ، وأوضحنا أن هذه النظرية لا تكفى وحدها فى تفسير هذا الارتباط ، وأنه ارتباط تاريخى له جذوره وتطورات ، وله مواقف ألهيته ، وعانول خططت له ووجهته .

وناقشنا فى هذا الفصل آراء المؤرخين فى المختار ، وأوضحنا أنها تحتاج إلى تقويم جديد ، وأن أكثر الاتهامات التى وجهت إليه فيها تحامل أو تهافت ، ثم أوضحنا أسباب ارتباط الفرس بالدعوة العباسية ودورهم فى تنشيط خلايا الدعوة فى خراسان ، وأوضحنا أيضا أن الدعوة العباسية لم تلق تأييداً وحماساً من جميع الفرس ، بل تصدى فريق منهم لمعارضتها .

وفى الفصل السادس تحدثنا عن ارتباط الإيرانيين بالحركات التى دعت لإصلاح أحوالهم وتحسين أوضاعهم ، والتى تولى قيادتها بعض القادة العسكريين فى الجيش الخراسانى .

وفى هذا الإطار أوضحنا دورهم فى حركة ابن الأشعث ، وأثبتنا خطأ رأى القائل بأنها كانت ثورة عسكرية عربية فقط ، فأوضحنا أنها كانت تمثل التجمع الإيرانى العراقى بمعظم فئاته ، وأنها كانت

ذات أسعاد اجتماعية إصلاحية .

وتتبعنا جماعة الإصلاح التي انبثت في الجيش الخراساني وفي مناطق الثغور وأوضحنا أهدافهم ونشاطهم ومدى ارتباطهم بالموالي ، ثم كيف انبثقت عن حركتهم ثورة الحارث بن سريـج وتحدثنا عن مراحلها وتطوراتها ، وكيف حاولت الارتباط بالعناصر التركية والایرانية ، وكيف انحرفت عن أهدافها في النهاية وتحولت إلى فتنة عصبية عندما اتخذها المضربة مطية لتحقيق مآربهم وأصبح الموالي الإيرانيون بمعزل عنها .

وبعد فإننا لا نزعـم أننا أحطنا في هذه الدراسة بكل جوانب الموضوع ، وقتلناه بحثاً ، فإنه لا يزال في حـاجه إلى مزيد من الجهد والفكر ، وحسبنا أننا حاولنا تفتيق جوانب جديدة ، وتوجيه النظر إلى ضرورة الاهتمام بها .

مصادر البحث

- ١- أبو يوسف (القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم - ت ١٨٢ هـ) :
كتاب الخراج - ضمن موسوعة الخراج التي نشرتها
دار المعارف للطباعة والنشر في بيروت سنة ١٩٧٩ م .
- ٢- ابن الاثير (عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد
الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري - ت ٦٣٠ هـ) :
الكامل في التاريخ - دار الكتاب العربي في بيروت
١٩٨٣ .
- ٣- د . أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
الجزء الثاني : الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية
في عهدها - الطبعة الرابعة - مكتبة النهضة المصرية
١٩٧٣ م .
- ٤- الإصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري
المعروف بالكرخي - توفي في النصف الاول من القرن
الرابع الهجري) : المسالك والممالك - تحقيق الدكتور
محمد جابر الحيني - مراجعة محمد شفيق غربال - من
سلسلة " تراثنا " ١٩٦١ م
- ٥- البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد - ت ٤٢٩ هـ)
: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم - مطبعة
المعارف بمصر ١٩١٠ م .

٦- البلاذرى (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر - ت ٢٧٩ هـ) :
أنساب الأشراف - طبعة بغداد .

٧- المؤلف السابق : فتوح البلدان - قام بمراجعته رضوان محمد
رضوان - دار الكتب العلمية في بيروت ١٩٧٨ م .

٨- الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى) : البيان والتبيين
تحقيق عبد السلام هارون - الطبعة الرابعة في بيروت .

٩- الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس - ت ٣٣١ هـ) : كتاب
الوزراء والكتاب - مطبعة الحلبي ١٩٣٨ .

١٠- د . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى
والثقافى والاجتماعى - الطبعة السابعة - يناير ١٩٦٤ م .

١١- د . حسن أحمد محمود ، ود . أحمد إبراهيم الشريف : العالم
الإسلامى فى العصر العباسى - الطبعة الخامسة - دار
الفكر العربى .

١٢- حمادة (محمد ماهر حمادة) : الوثائق السياسية والأدارية
العائدة الى العصر الأموى - الطبعة الرابعة - دار الفكر
فى بيروت ١٩٨٥ م .

١٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرى - أبو
زيد ، ولى الدين - ت ٨٠٨ هـ) : العبر وديوان المبتدأ
والخبر - دار الكتاب اللبنانى فى بيروت ١٩٨٣ م .

١٤- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر - ت ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان ، وأنباء أنباء الزمان - تحقيق احسان عباس - دار الثقافة فبى بيروت .

١٥- د للافيدا (ليفى) : مادة "بنو أمية" دائرة المعارف الاسلاميه مترجمة عن الاصلين الانجليزى والفرنسى .

١٦- د . د . د . دولت أحمد صادق : جغرافية العالم - الجزء الاول : آسيا وأوربا - مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٠ م

١٧- الدينورى (أبو حنيفة أحمد بن داود - ت ٢٨٢ هـ) : الأخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر - مراجعة جمال الدين الشيال - من سلسلة " تراثنا " - طبعنة بالافست - مكتبة المشنى فى بغداد .

١٨- الزركلى (خير الدين) : الاغلام قاموس تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين فى الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٩٥٩ م .

١٩- د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية - دار النهضة العربية فى بيروت .

٢٠- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - ت ٩١١ هـ) : تاريخ الخلفاء - الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٦٩ م .

٢١- الشرقاوى والصيد (محمد عبد المنعم الشرقاوى ، ومحمد محمود
الصيد : هذا العالم - دار المعارف بمصر سنة
١٩٥١ م .

٢٢- الشهرستانى : الملك والنحل - مكتبة الحلبي فى مصر

٢٣- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير - ت ٣١٠ هـ) : تاريخ الامم
والملوك - دار الفكر فى بيروت ١٩٧٩ .

٢٤- عبد الأمير حسين دكسن (جامعة بغداد) : الخلافة الاموية
من سنة ٦٥ هـ الى ٨٦ هـ (٦٨٤ م - ٧٠٥ هـ)
دراسة سياسية - دار النهضة العربية فى بيروت -
الطبعة الاولى ١٩٧٣ .

٢٥- ابن عبد ربه : العقد الفريد - طبعة بيروت .

٢٦- عبد الله مهدى الخطيب (دار التربية فى بغداد) : الحكم
الاموى فى خراسان - مؤسسة الاعلمى فى بيروت
الطبعة الاولى ١٩٧٥ م .

٢٧- د . عبد المنعم ماجد : الاطللس التاريخى للعالم الاسلامى
فى العصور الوسطى - رسم خرائطه على البنا -
دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٦٧ م .

٢٨- د . على حسنى الخربوطلى : المختار الثقفى مرآة العصور
الاموى - من سلسلة اعلام العرب رقم ١٦ - المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

٢٩- فلهوزن (يوليوس) (مستشرق ألماني) : تاريخ الدولـــــــــــــــــه
العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدوله الامويه
ترجمة وتعليق د . محمد عبد الهادي ابوريده
مراجعة د . حسين مؤنس - لجنة التأليف والترجمة
والنشر - القاهره ١٩٦٨

٣٠- فلوتن (فان) : السيادة العربية والشيعة والاسرائليات فـــــــــى
عهد بني امية - ترجمة عن الفرنسية وعلق عليه د .
حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكي ابراهيم - مكتبة
النهضة المصرية ١٩٦٥ م .

٣١- ابن كثير : البداية والنهاية - دار الفكر في بيروت .

٣٢- د . محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولـــــــــه
العربية الاسلاميه خلال القرنين الاول والثانى
بعد الهجرة - الطبعة الرابعة - دار الفكر العربي
١٩٧٣ م .

٣٣- د . محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة في العصر الامـــــــــوى
أعادة الطبعة الاولى ١٩٧٤ .

٣٤- محمود شاکر : ايران - من سلسلة مواطن الشعوب الاسلاميه
في اسيا - رقم ١٣ - المكتب الاسلامي .

٣٥- محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس (ايران) - الطبعه
الثالثة - بيروت ١٩٧٤ .

٣٦- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين - ت ٣٤٦ هـ) :
مروج الذهب ومعادن الجوهر - دار الاندلس
للطباعة والنشر في بيروت .

٣٧- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر
البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري) :
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - مطبعه
بريل في ليدن ١٩٦٧ م .

٣٨- نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية - طبعة بيروت .

٣٩- ولبر (دونالد) : ايران ماضيها وحاضرها - ترجمة الدكتور
عبد النعيم حسنين ، مراجعة ابراهيم أمين
الشواربي - القاهرة ١٩٥٨ .

٤٠- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي
الرومي البغدادي) : معجم البلدان - دار صادر
في بيروت - ١٩٨٤ م .

٤١- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب
المعروف بابن واضح الإخباري) : تاريخ اليعقوبي
يتضمن التاريخ منذ بدء الخليفة الى زمن الخليفة
المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩ هـ - دار
صادر في بيروت .

٤٢- : دائرة المعارف الاسلامية : مترجمة عن
الأصلين الانجليزى والفرنسى - نقلها الى
العربية عباس محمود ، وعبد الحميد يونس
وأحمد الشنتناوى ، وابراهيم زكى خورشيد
وراجعها محمد أحمد جاد المولى-
